المشرق

تاريخ الشهر المريميّ ومعناه

نبذة للاب ابيداي لوريول اليسوعي

انّ التعبُّد للعذراء الطاهرة والدة الاله لَمِن المميّزات التي خُصّت بها الكنيسة الكاثوليكيّة اخذتهُ عن تقليد متواتر يتسلسل الى عهد الرُّسل. ولا غرو فانّ المسيح اوصى بامّهِ على صليبهِ تلميذهُ الحبيب كما جعل والدتهُ أمًّا لهُ فتبادلت منذ ذاك الحين عواطف الاكرام وعوامل الحبّ بين الامّ والابن

على انّ يوحنّا الانجيليّ لم يكُ وتئذٍ غير وصيّ للكنيسة يقوم مقامها ويمثّلها بشخصهِ الكريم كما أثبت ذلك جمهور الآباء والمعلّمين. ومن ثمّ لمّا اخذها التلميذ الحبيب الى خاصّتهِ (يوحنّا ١٩: ٢٧) دخلت ايضًا في خاصّة الكنيسة فاضحت امًّا للمؤمنين تقوم بشؤونهم وتشفع بهم وهم يقدّمون لها فرائض الابناء المخلصين. ولنا على ذلك شاهد صادق في اوّل اجتماع الرُّسل والمؤمنين في العلّيّة الصهيونيّة اذ كانوا يلازمونها ويتوسّلون بها الى الله ليرسل لهم روحهُ الاقدس (سفر الاعمال ١: ١٤) واليها اشار التلميذ الحبيب في سفر الرؤيا (١٢: ١). قد رآها كآية عظيمة في السماء وهي «ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبًا»

فلمّا وجدت الكنيسة منذ قرونها الأولى في الاسفار المقدّسة ركنًا متينًا تسند اليه عبادتها لم تشأ بعد ذلك ان تفصل الابن عن امّهِ وعرفت انّ اكرام الامّ مهما كان بليغًا يعود الى الابن ولا يخلّ بشرفهِ البتّة

ولو تتبّعنا آثار التعبُّد لملكة السماء في تاريخ بيعة الله شرقًا وغربًا لاتّسع بنا

الكلام وافضى بنا الى الاسهاب المملّ. وحسبنا القول انَّ لآباء الكنيسة الشرقيَّة الاوَّلين من الاوصاف والمدائح في مريم امّ الربّ ما لا يُبقي شكًّا في انتشار العبادة نحوها في تلك الاجيال القاصية. امَّا الغرب فقد اورثنا فضلًا عن اقوال ملافنتهِ دلائلَ أُخرى محسوسة على اعتبارهِ للبتول الجليلة وتعظيمهِ لامّ الخالق ألا وهي الصور البديعة التي رسمها نصارى رومة العظمى في الدياميس واكتشفها آل العلّاديّات كالاب مركي اليسوعي والعلّامة الشهير ميشال دي روسّي فكان اكتشافها احسن تفنيد لمزاعم من قرَّف الكاثوليك باحداث العبادة لمريم. وقد وُجدت هذه الصور في مدافن القرن الثاني والثالث للمسيح كمدفن فلاثية دوميتلاً من نسل القياصرة ومدفن البابا كليكستس ومدفن القديسة أغنس ترى فيها صور العذراء على هيئات شتّى وفي حجرها ابدًا الطفلُ الالهيّ الذي اليهِ مرجع عظمتها وسموّ مقامها

فلا سبيل اذن الى الزعم بان عبادة العذراء من مبتدعات الكنيسة الكاثوليكيَّة بل الأحرى ان يُقال انَّها متأصّلة في جذور العقائد النصرانيَّة مرتبطة بها ارتباطًا غير منفصم منذ نشأتها الأُولى

*

هذا وانَّنا لا ننكر انَّ هذا التعبُّد مع قدمهِ لم يبرز في كل الاعصار على منوال واحد بل ترى المؤمنين قد بحثوا في كلّ جيل على طرائق جديدة لاكرام امّ المخلّص. وقد توفَّرت هذه العبادات في كلّ صقع واختلفت باختلاف الاماكن والازمنة واحوال الشعوب لاسيَّما بعد المجمع الافسسي سنة ٤٣١ حيث أبكم آباء الكنيسة فمَ نسطور المجدّف على امّ الله واصلتوا عليهِ سيف الحرم والقطع. وممَّا شاع مذ ذلك العهد في انحاء الغرب السلامُ الملائكي على صورتهِ المعروفة اليوم وهو ينسب الى البابا سلستين (٤٢٣-٤٣٢) جعلهُ كدستور الايمان الكاثوليكيّ في الأُمومة الالهيَّة. وبهِ يلحق تعبُّدان آخران نراهما اليوم منتشرين في كل المعمور يرتقي احدهما الى اواخر القرن الحادي عشر وهو صلاة بشارة الملاك (التبشير) والثاني عبادة الورديَّة تُعزى الى القديس عبد الاحد في اوائل القرن الثالث عشر

وممَّا يهمُّنا اليوم البحث عنهُ صنفٌ آخر من التكريم للعذراء المجيدة يعود كلّ سنة في فصل الربيع نعني بهِ الشهر المريمي فانَّ هذه العبادة التقويَّة قد اصابت بين المؤمنين

حظوى كبيرة فتراهم يقبلون على ممارستها ايَّ إقبال حتّى لا تكاد تجد كنيسة الّا وترنّ فيها كلّ مساء محامد مريم وتسابيحها مدّة شهر ايّار بتمامه

فيا تُرى متى نشأت هذه العبادة وما معناها ؟. ذانك سؤالان ربّما عرضهما علينا المستفيدون فاحببنا الجواب عنهما في صفحات مجلّة المشرق في بدء شهر نوّار المخصّص بهذا التعبُّد المستحب فنقول:

قد ظنّ بعض الكتبة انّ منشئ عبادة الشهر المريميّ انّما هو احد اولياء الله الذين اشتهروا في اواسط القرن السادس عشر بنشر عبادة البتول بين المؤمنين وهو القديس فيليب دي نيري (١٥١٥ — ١٥٩٥) وكانت غايتهم من هذا القول ان يزيدوا هذه الطريقة المستحدثة اعتبارًا وثناء بنسبتها الى رجل مفضال من اصفيائه تعالى المبرّزين في الفضل والقداسة. لكنّ الحقيقة اولى فانّنا لا نجد في اعمال البولنديين اثرًا لهذه العبادة بين مآثر القديس فيليب المذكور. وما يزيدنا ريبًا في ذلك انّ تلميذهُ وكاتب ترجمته الاب باكشي لم يُشِر الى الامر بتاتًا ولا نخالهُ يكون سكت عن ذلك لو كان صحيحًا

واوّل من سبق فذكر شهرًا يخصّص لاكرام البتول عليها السلام انّما هو الاب حنا نادازي اليسوعيّ ألّف سنة ١٦٦٤ كتابًا صغير الحجم عدد صفحاته ١٢٣ فطبعهُ في مدينة كولونية ووسمهُ بهذا العنوان: « الحبُّ لمريم وهو يتضمّن ٣١ رياضة تقويّة لاكرام امّ الله مدّة شهر كامل ». وكان وَضع هذا الكتاب في اللاتينيّة ثمّ نُقل الى الالمانيّة سنة ١٧١١. وللاب المذكور تآليف عديدة في العبادة المريميّة عرّب منها الاب بطرس فروماج في القرن الثامن عشر كتابهُ « يسوع الحبيب ومريم المحبوبة ». ومن تآليفه ايضًا كتاب آخر ضمّنهُ فضائل العذراء الطاهرة واعمالها والتعبُّد لها لكلّ يوم من ايّام السنة سمّاهُ السّنة المريميّة

على انّ تأليف الاب نادازي وان كان شاملًا لرياضات شهريّة في خدمة البتول لم يختصّ بشهر دون آخر وعليه فلا يمكن اعتبار صاحبه كمنشئ عبادة الشهر المريميّ الذي لا يقع اليوم الّا في ايّار

امّا الفضل في تعيين هذا الشهر لاكرام والدة الله فانهُ يعود الى ابوين يسوعيّين آخرين صنّفا كتابين يستفاد منهما تعيين شهر ايّار او نوّار للتعبُّد لمريم ولا نعرف

لا سيما حتّى التقدّم وهما الاب كسافير جاكوله (Fr - X. Jacolet) السويسريّ الموطن وُلد سنة ١٦٨١ وتوفيّ سنة ١٧٤٦ والاب انيبال ديونيزي الايطاليّ المتوفّى سنة ١٧٥٦ في ڤيرّزنة. امّا الاول فانّهُ طبع سنة ١٧٢٤ في ديلنغن من اعمال المانية كتابًا دعاهُ «الشهر المريميّ او ترجمة البتول الطاهرة وفضائلها نقلًا عن آباء الكنيسة وهي مقسّمة على عدد ايّام شهر ايّار لتكون دستورًا للمتعبدين لمريم في اخويّتها في ديلنغن». وعدد صفحات الكتاب ٢١٦ بالحجم الصغير. وهذا المصنَّف نُقل الى لغات شتّى وعُرف بأوّل كتاب متضمن لرياضات الشهر المريميّ

امّا الثاني فهو اصرح عبارةً مضمونهُ التعبّد لمريم في شهر ايّار ألّفهُ الاب ديونيزي فطبعهُ في زمن الكتاب السابق لكنَّ طبعتهُ الاولى فُقدت فلم يوجد منها نسخة معروفة وانّما تُعرف الطبعة الثانية منهُ سنة ١٧٢٦ نُشرت بالايطاليّة في بارمة والارجح انَّ الطبعة الاولى سبقت تأليف الاب جاكوله. ومن ثمَّ فيكون اوّل كاتب عن شهر ايّار وتكريم العذراء في كلّ يوم من ايّامهِ الاب ديونيزي. وهذا الكتاب طُبع ايضًا غير مرّة تحت اسم « پارتانيو ماريانو » وهو اسم مستعار دلَّ بهِ صاحبهُ انتماءَهُ الى العذراء مريم.

وهذان الكتابان مع تقدُّمهما لم يصيبا من الشهرة ما اصابهُ كتاب آخر ألّفهُ الاب فرنسيس لالوميا اليسوعيّ فطبعهُ في وطنهِ پالرمو سنة ١٧٥٨ ثمَّ كُرّر طبعهُ مرارًا قبل موت صاحبهِ في الاستانة العليّة ثمَّ انتشر بعد وفاتهِ انتشارًا عجيبًا ونُقل الى اكثر اللغات الاوربيّة

وفي تلك الاثناء عصفت في فرنسة الثورة العظمى التي كادت تذهب بالدين كما قوّضت اركان الملك وانتشرت منها الى نواحي اوربّة فخمدت مدّةً العبادة المريميّة في شهر ايّار حتّى اذكى نارها الاب الفونس مرزاركي اليسوعيّ بنشرهِ كتابهُ النفيس « الشهر المريميّ » المطبوع اولًا سنة ١٧٨٥. وكان لهذا الاب نفوذ كبير بين الكاثوليك خدم الكرسيّ الرسوليّ بنشاط عجيب ورافق پيوس السابع في منفاهُ الى فرنسة وتوفّي في باريس سنة ١٨١٣. وكان حيثما يحلّ يحرّض المؤمنين على التعلّق بأهداب البتول الطاهرة والتماس حمايتها خصوصًا في شهر ايّار لتسكن بشفاعتها الانواء التي كانت تساور الصخرة البطرسيّة. فلبّى المؤمنون دعوتهُ وعادوا الى إكرام امّ الله بحرارة جديدة لم

تزل منذ ذاك الحين في نموٍّ دائم حتى شملت كلَّ البلاد الكاثوليكيَّة قاصيها ودانيها. ومما افاد هذه العبادة شيوعاً انَّ الاحبار الرومانيين إثبتوها بسلطانهم الاسمى وفتحوا كنوز الغفارين الكنسيَّة فافاضوها على من يمارسها. وخصوصاً البابوات بيوس السابع سنة ١٨١٥ وغريغوريوس السادس عشر سنة ١٨٤١ وبيوس التاسع سنة ١٨٥٨

*

ولم تنحصر عبادة الشهر المريمي في حدود قارة اوربَّة بل تجاوزتها مع الجيش الناقل للسلام اي المرسلين الكاثوليكيين فازدهرت في اميركة وآسيَّة حتى انتهت الى الشرق الاقصى. وكفى قولنا دليلًا انَّ اليسوعيين وحدهم طبعوا في عدَّة لغات غير اللغات الاوربيَّة كتباً ضمَّنوها تعبُّدات الشهر المريمي منها في الصينيَّة للاب زتولي (Zottoli) والملغشيَّة للاب اليو (Ailloud) والتاموليَّة للاب سان سير (Saint-Cyr)

وان قصرنا النظر على بلادنا الشرقيَّة وجدناها انَّها نالت ايضاً حصَّتها من التعبُّد المريمي في شهر نوَّار. وكان اوَّل من دعا اليهِ في سوريَّة ذلك المرسل الغيور الذي لقبهُ اهل لبنان برسول بكفيا الأب سليمان استاف (Estève) شرع بهِ في سنة ١٨٣٦ فكان في كلّ يوم من ايَّام أيَّار يجمع المؤمنين في معبد البتول الطاهرة امام صورة سيّدة النجاة التي سبق في المشرق (٤: ٨١٧) ذكر تاريخها ومعجزاتها وكان يخطب اليهم في مناقب البتول المجيدة. فكلف اهل لبنان بهذه العبادة وادخلوها شيئاً فشيئاً في كلّ قرى جبلهم وكذلك انتشرت في المدن الساحليَّة وتخطَّت حدود الشام فعمَّت الاراضي المقدَّسة بهمَّة الآباء الفرنسيسيين وشملت بلاد ما بين النهرين والعراق بمساعي الآباء الكبوشيين والدومينيكيين والكرمليين

ومما ساعد على نشر هذه العبادة في ظهرانَيْ بلادنا كتب الشهر المريمي العربيَّة صدر الاوَّل منها في مطبعة انتشار الايمان نحو سنة ١٨٣٨ وكان معرّبهُ حضرة القس لباوس المتيني احد افاضل الرهبان الموارنة البلديين ووكيلهم في رومة العظمى نقلهُ عن كتاب الاب موزرلي المذكور سابقاً وكرَّر طبعهُ ثانيةً ثمَّ ثالثةً سنة ١٨٤٨

واوَّل شهر مريمي شاع في سوريَّة ١٨٥٣ كان طبعهُ على الحجر ويختلف بعض الاختلاف عن كتاب الاب موزرلي كأنَّهُ ملخَّص عنهُ في التأملات. ومغاير لهُ في الاخبار

وفي السنة نفسها ابرزت مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف الشهر الذي عرَّبهُ الاب لأوس المتيني. ونشرتهُ مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٥٨ ثمَّ مطبعة الآباء الدومينيكين في الموصل سنة ١٨٧٦. وكرّر طبعهُ مرارًا في كلّ هذه المطابع

وقد طبعت في بلادنا شهور مريميَّة أُخرى منها في سنة ١٨٧٦ كتاب « اجتناء الاثمار من تكريس شهر أيار » للاب استفانس برساني عرَّبهُ من الايطاليَّة حضرة القس يوسف الشبابي الراهب الحلبيّ اللبناني الماروني وطبعهُ في المطبعة العموميَّة في بيروت. وفي السنة ١٨٩٢ تولَّى غبطة السيّد افرام الرحماني تعريب شهر آخر نقلهُ عن الافرنسيَّة ونشرهُ في مطبعة المرسلين الدومينيكيين في الموصل يتضمَّن تأملات في سيرة سيّدتنا مريم العذراء ومناقبها واوصافها (ص ٢٥٦ بقطع صغير)

وممَّا نُشر مؤخَّرًا كتاب الشهر المريميّ منقولًا من الافرنسيَّة بقلم الخوري بولس متَّى طُبع في مطبعة الأرز في جونية (ص ١٩٢). وتبعهُ حضرة الاب افرام الديراني احد مدبّري الرهبانيَّة الحلبيَّة فطبع في سنة ١٨٩٩ كتاب « سعادة المُغرَم في عبادة مريم » نقلًا عن الافرنسيَّة وهو عبارة عن ٣١ تأمُّلًا في حياة العذراء وفضائلها تُتلى مساء كلّ يوم من شهر أيار

وقد أيد الله راقم هذه الاسطر على اتمام كتابٍ جاء كخاتمة الكتب السابق ذكرها وهو « الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق » وصفهُ المشرق في عدده الرابع من السنة الجارية (ص ١٨٩). وممَّا نبَّهنا عليهِ في عنوان الكتاب انَّ استعمالهُ يناسب الشهر المريميّ ولذلك قد اضفنا اليهِ ملحقًا اودعناهُ ٣١ خبرًا لكلّ يوم من أيام هذا الشهر المبارك مع جدول للقراءات المناسبة. ويسرُّنا ما وجدنا من الاقبال عليهِ منذ صدوره نفعنا الله بشفاعة امّ النور ومورد النعم

*

هذا ولا نريد ان نختم هذه النبذة في تاريخ الشهر المريمي دون ان نجيل الطرف لمحةً في معناهُ افادةً لمن يسألنا ما السبب الذي حدا بالبيعة المقدَّسة الى اختيار شهر أيار دون سواهُ فنقول:

انَّ شعائر الحبّ التي حملت المؤمنين في القرون السالفة على ان يخصّصوا بعض الدقائق

في كلّ يوم لذكر العذراء مريم في صلاة التبشير وساقتهم الى افراز يوم في كلّ اسبوع لاكرامها اعني يوم السبت هي التي انهضت هممهم وحرّكتهم الى تخصيص شهر كامل بتمجيدها واستدرار نعمها السابغة. ولمَّا لم يجدوا في فصول السنة شهرًا ابهى من شهر أيار لبروز الطبيعة فيهِ بحلاها السندسيَّة وانوارها الزهيَّة فضَّلوهُ على سواهُ ليكون كعربون اخلاص ودادهم وكشارةٍ عن صدق اعتصامهم بحبل عبادتها الغرَّاء. لاسيَّما انَّهم يرون في هذه الزهور احسن مثال يصوّر لهم فضائل أمهم السمويَّة التي قالت في سفر نشيد الاناشيد عن نفسها « انا زهرة الحقل وزنبقة الاودية ». والحق يقال انَّ هذه الزهور العطرة تدعوهم بلسان حالها الى ممارسة الفضائل المريميَّة المشبَّهة بها كسوسن العفَّة وبنفسج التواضع وورد المحبَّة الى غير ذلك من المناقب البتوليَّة

ولنا في اصطفاء هذا الشهر على بقيَّة الشهور سببٌ آخر وهو انَّ هذا الشهر لما تجدهُ فيهِ الابدان من الراحة ونعومة العيش ربَّما اصبح خطرًا للنفوس وداعيًا الى الملاذ والشهوات القاتلة الارواح فاحبَّت الكنيسة ان تجد ابناؤها في رياضات الشهر المريميّ دواء ناجعًا لشفاء هذا الداء العُضال فيعدلون عن الآفات التي تتهدَّد خلاصهم

ونزيد على ذلك سببًا ثالثًا وهو انَّ شهر أيار خالٍ من الاعياد المريميَّة التي تُقام لذكر البتول في غيرهِ من الشهور فلم يشإِ ابناء مريم ان يمرَّ عليهم شهرٌ دون اكرامها فاختاروا كل أيامهِ لذلك وأحرِ بهذا الشهر ان يُكرَّس لمريم وهو قريبٌ من الافراح الفصحيَّة التي شملت العذراء المجيدة وقشعت عن قلبها غياهب الحزن لموت وحيدها وفلذة كبدها

فيحقُّ اذًا لجميع اولاد الكنيسة ان يقبلوا على ممارسة هذا الشهر العظيم لينعشوا في قلوبهم مع الحبّ لمريم روح البرارة والقداسة على مثالها ويبلغوا بشفاعتها في نيل السعادات الاخرويَّة ابعد شأو واقصى منتهى

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

اخلاقهم وآدابهم

اخلاق اهل هذه البدعة في منتهى الوداعة. وهم يمتازون بعدة فضائل منها العفّة. ولذا تراهم يفرقون عن غيرهم من سيماهم فان ملامح وجوههم تنطق بحسن آدابهم وبشاشتهم تُترجم عن نقاء سرائرهم ولسانهم يُفصح عمّا في ضمائرهم. ومن فضائلهم ايضاً محبّة بعض لبعض وهي فيهم على نوع لا يُشاهد الّا في الرهبان. وذلك انهم اذا احتاج الواحد منهم الى دراهم ولم يكن لهُ شيء. نقدهُ اخوانُهُ في الدين كلٌّ حسب حالهِ. واذا أُودع السجن واحدٌ منهم ذهبوا زرافات اليهِ وبذلوا ما في الوسع لاطلاق سراحهِ. وكذا قُلْ عن سائر الفضائل لكن منذ ان اختلطوا اختلاطاً عظيماً بسائر الأقوام من اهل البادية وغيرهم اندفعوا الى الكذب والسرقة وغير ذلك من المعايب لكن هذا ايضاً في افراد منهم لا في جميعهم

الزواج عندهم

قد ذكر حضرة الفاضل نيقولا السيوفي في كتابهِ عن زواج الصابئة أُموراً تُضحك الثكلى ممّا لا يُصدّق عاقل ان ما رواهُ يوجد عند أمّة من أُمم الارض. ولهذا يحسن بنا ههنا ان نورد الحقيقة على ما شاهدناهُ عياناً لا على ما سمعناهُ وقد تحرَّينا الاختصار بقدر ما في الامكان

اذا أراد الشاب المندائي التأهّل (١ بعث رجلاً كامل السنّ او امرأة كاملة السن

---

١) وهنا يحسن بنا ان نعرّب كلام الفاضل الاديب المسيو نيقولا السيوفي ونؤكد ان ليس لهُ من الحقيقة حظٌّ ابداً. قال رحمهُ الله: «قبل ان يجاوب ابُ الابنة (رُسُل الشاب) يستأذنهم بالخروج ملتمساً منهم ان ينتظروهُ ريثما يجيء. فيذهب الى غرفة أُخرى ليتشاور مع زوجتهِ بحضور ابنتهِ لكي يطلب منها رضاها ثم يعود الى الوَفد ليُعلمهم بالقبول وحينئذ يُعيّن الحضور مبلغ الصداق. وفي اليوم الثاني صباحاً تحمل عدة نساء من اقارب الخطيب العرُوض

الى بيت الابنة التي عامها الشاب ليتجسّس باسلوب لطيف قبول الابوين. فاذا تحقّق الرسول ان ليس هناك ما يمنع الطلب ينفذ الشاب في اليوم الثاني باسمه وباسم اهله كنزبرِيّة (اي اساقفة) او رجلًا او رجلين من الصلحاء العقلاء ليخطبوا الابنة خطبةً بموجب الاصول المرعيّة ويتّفق الفريقان على تعيين الصداق. وهذا يختلف بين الـ ٥٠٠ فرنك وبين الالف. وربّما زاد او نقص عن هذا المبلغ. هذا اذا كان الطرفان صالحين ليس في اقاربهما شائبة في الجسم او في العرض والّا فالمبلغ قد يزيد زيادة فاحشة تعويضًا عن الشائبة. ومن المندائيّة من لا يقبل المهر ابدًا اذا كان ثريًّا وبذلك ايضًا اشارة الى ان مناقب كريمته لا تثمّن بمال

وفي اليوم الثاني « في اي وقت كان (١ » ينقد الخطيب المبلغ الذي تمّ الاتفاق عليه لوالد الخطيبة واذا لم يكن عنده ما يدفعهُ يكتب بذلك وثيقة يختمها جماعة من الشهود « سواء كانوا من اساقفة او كهنة او غيرهم من العوام »

هذا في الخطبة. واما في الزواج فتكون الرسوم على الوجه الآتي: لكن عليك قبل كل شيء ان تعلم انَّهُ لا يُعقد زواج ما لم يكن بحضور واحدٍ من الكنزبرِيّة وإلّا فلا. واذا لم يُوجد في ذلك البلد واحد من هؤلاء الاساقفة يُسافر العروسان الى البلد القريب من بلدهم ممّا يكون فيه كنزبرا. واذا كان العروسان من اعيان الصابئة يشهد التّمليك اثنان من الاساقفة عوضًا عن واحدٍ. ويكون دائمًا مع الكنزبرا عاقد الملاك اثنان من القسوس. واغلب ما يكون يوم العقد نهار الاحد « وقد يكون في غير هذا اليوم من ايام الاسبوع » بخلاف ما ذكرهُ المرحوم نيقولا السيوفي. وفي اليوم المعيّن يأتي العروسان

اللازمة للعروس لعقد الخِطبة. اما هذه العُروض فهي: حلقتان احداهما من فضّة والثانية من ذهب وصينيّة طافحة بالسكّريات وثلاث حليّ من ذهب وكبّة من الحنّاء تحنّي بها النساء أرجل الخطيبة وايديها مع جميع البنات المدعوّات الى الخطبة ويَضعنَ الحلقتين في اصبعين من أصابعها ويعلّقنَ الثلاثَ الحلى برأسها وبعد ذلك ينصرفنَ » اه التعريب. فهذا الكلام مختلَق من عين اصلهِ لأنّ التحنّو. والتبرّج والتزيّن والتكحّل والتخشّن وما كان من هذا الباب محرّمٌ عندهم كل التحريم اذ ان المتحنّي يكون اول من يدخل النار من بين الاشرار. نعم قد أُبيح للصابئة في هذه السنين الاخيرة التزيّن ببعض الحلى التي لا تزيد شيئًا في حسن المرأة امّا التحنّو. فهو ممنوع بتاتًا

١) قد اشرنا بالقوسين « » الى ان كلامنا يخالف قول حضرة نيقولا السيوفي

النهر فيقدم احد الترامدة (اي القسوس) ويُعَمِّد « هو وحده » العروس مرَّتين وبعدها يتقدَّم الخطيب ويتعمَّد كذلك. وبعد الاصطباغ ينزعان رَستهما اي الحُلَّة الدينيَّة ويلبسان لباس العرس. ومن النهر يذهبان « الى بيت الابن » لا الى بيت الترميدا وفيهِ قد أُعدَّت الحَجَلة وفي داخلها كُلَّة فتدخلها العروس. واما الخطيب فيذهب الى صريفةٍ (١ من عمل المندائيَّة انفسهم ويقف حول الخطيب اثنان من « الترامدة » وفي صدر الصريفة يقوم الكنزبرا ويقرأ عليهِ مع الترمدة صلواتٍ كثيرة تدوم زهاء ثلاث ساعات. وبعد ان ينتهي خدمة الدين من تلاوة الصلوات يبعث الكنزبرا والدتهُ واختهُ (او من يقوم مقامهما من النساء الفاضلات التقيَّات البعيدات عن الكذب) الى العروس ليتحقَّقنَ بكارتها فاذا تثبت النساء بتوليَّتها هاهلنَ وان لم تُهلهلنَ عُرف انها على الخلاف وفي مثل هذه الحالة الاخيرة يُخيَّر الخطيب في فسخ الخطبة او في تتمَّة عقدها لكن لا تُعامل حينئذٍ العروس الَّا معاملة الثَّيِّب يعني لا يستطيع ان يُزوِّجها الَّا كنزبرا خصوصي للثَّيِّبات. ومن مميِّزات هذا الاسقف انَّهُ لا يجوز لهُ ان يتولَّى الذبح ولا ان يُعمِّد احداً من ابناء طائفتهِ واسم هذا الكنزبرا: يَسَّكْ (ܦܣܟ)

واماَّ اذا كانت العروس بكراً فتُتمَّم سُنَّة الزواج اي يُعيَّن حينئذٍ واحدٌ من الحضور يقوم بمنزلة الوكيل عن العروس. والمألوف في مثل هذه الظروف ان يقوم بهذه الوظيفة اب الابنة اذا كان في قيد الحياة والَّا فواحد من اقارب احد الطرفين. ثم بعد ذلك يضع الكنزبرا ثلاث مرَّات يَدَ هذا الوكيل في يد الخطيب ويقول لهُ: « أتُعطي ابنتك الفلانيَّة لفلان ابن فلان ». وبعد الجواب بالقبول يلتفت الى الخطيب ويقول لهُ: « أتقبل فلانة ابنة فلان امرأةً لك ». وبعد الجواب بالقبول يقول الكنزبرا للوكيل: « بايَّ مبلغٍ اعطيتَ ابنتك » ؟ — فيقول الوكيل: « بالف زوزي ودينار (٢. ثم يقول

---

١) الصريفة عندنا نحن العراقيين ازجٌ او بيت او كوخ يُعقد من السعف اليابس ومنهُ اشتقاق اللفظة لان الصريفة السعفة اليابسة. وربُما كانت من القصب وهذا من باب التوسُّع والتساهُل والغالب على هيئة الصريفة شكل الازَج

٢) الزَوزي ܙܘܙܐ (zozi) هو غير الدينار وهو نوع من الدراهم القديمة لم يمكني ان اهتدي الى قيمتها الحقيقيَّة وكانت تستعمل في غربيّ بلاد فارس في المائة التاسعة للميلاد. واعلم ان اسئلة الزواج واجوبتها لا تختلف صوَرها مهما كان المبلغ المتَّفق عليهِ بين اصحاب العروسين وانما ذلك من قبيل التواطوء والاصطلاح الديني. فاحفظهُ

له الكنزفرا: « وانت ماذا أعطيتهُ ؟ » . فيجيب الوكيل: « أعطيتهُ حمل جملٍ من الثياب الحريرية وحملاً آخر من ثياب الكتّان وعشرة مثاقيل زعفران » . وبعد هذه المحاورة ينزع الاب او الوكيل ثيابهُ الدينيّة التي ذكرنا عنها انها تسمَّى عندهم « رَسْته » (ولبسها واجب على كل من يُباشر امراً دينيّاً مهما كان طفيفاً) وبعد ذلك « يبقى الاب بين الجمع الحاضر » او يخرج ان أحبَّ

واذا تمَّ هذا يُشرع بسُنَّة بركة الاقتران. واوَّل شيء يأتيهِ الكنزفرا هو صلوات يُصليها في فناء الدار ومعهُ الترميدان والخطيب. ثم يذهب الموكب الى حجلة العروس فيتكئ الخطيب وظهرهُ على الكُلّة التي فيها العروس وكذلك تفعل العروس من عندها بحيث يكون العروسان ظهراً لظهر فيتلو حينئذٍ الكنزفرا صلوات اخرى وفي اثنائها ينقر ثلاث نقرات رأس العروسين الواحد بالآخر وهو يقول كل مرَّة: « أنا ششبان هيدُوي » (ana cheuchban hidoï) اي انا عرَّاب كل واحد منكم » . وبعد ان ينتهي من تلاوة هذه الصلوات يذهب الحضور الى محلّ آخر وهو عبارة عن مُشبَّكٍ من القصب وهناك يتلو الكنزفرا صلوات أُخرى على رأس الخطيب وبذلك تتم سُنَّة الزواج عندهم

وفي ذلك المشبَّك تُهيَّأ سبع طرائن (مفردها عندهم طريانة وهو نوع من الاناء المتَّخذ من الطين الحُرّ) عليها خبز وسمك وبصل وجوز ولوز وربَّما كان عليها غير ذلك. وبعد ان يفرغ المدعُوُّن من تناول الطعام يتأبَّط اب العروس خبزتين ويأخذ بيدهِ إبريق ماء ملفوفاً بنسيج ابيض فيخرج بذلك الى خارج وفي أثناء خروجهِ يُسقط الخبزتين اللتين كان قد تأبَّطهما بحيث تقعان خارجاً عن المشبك. ثم يعود بالابريق وحدهُ فيأخذهُ منهُ احد الترميدَين فيشتر الخطيب ساعدهُ ويسكب الترميدُ ماء على يديهِ مرَّاتٍ عديدة ثم يُناولهُ الترميد جوزاً ولوزاً وزبيباً لان المتزوج يكون الى ذلك الوقت صائماً. اما الذي يُطعم العروس فهو ابوها ويقول لها حين يُناولها الطعام: « أخلَلْ تاما لا أخلِتْ لَبَرْ منِّي » ومعناهُ: « كُلي من هذا ولا تأكلي من غيرهِ » .

ثم بعد هذا يقرأ الكنزفرا صلواتٍ فوق رأس الخطيب ويكون هذا وقتئذٍ جالساً امامهُ وبعد تلاوة الصلوات يفرّ مَركَنْتهُ اي عصاهُ ثلاث فرَّات وبذلك يُشير الى ان العروسين اصبحا من هذه الهنيهة نجسَين فيذهب الخطيب الى ماء جارٍ فيغتسل فيهِ.

وكذلك تفعل العروس غير انّها تغتسل في الدار ويبقى العروسان نجسين الى مدّة سبعة أيام وفي اثناء ذلك لا يأكلان ولا يشربان مع احد من اهل البيت ولا يلمسهما احدٌ وتُسمّى هذه الحالة عندهم: « صُرتا » (sorta). وبعد انقضاء المدّة يتعمّدان في النهر وبذلك يتطهران فيأكلان ويشربان مع اهل البيت. واذا مات في مطاوي هذه الأيام احد العروسين فالميتُ يُعتبر « نجسًا » ويتطهر من نجاسته في المطراتي. لكن لا يُعدّ ابدًا خارجًا عن عداد المندائيّة كما صرّح بذلك المرحوم نيقولا السيوفي. واما ما ذكرهُ من التفصيل بعد نقر رأس العروسين فهو من الامور المصوغة الموضوعة ليس لها من الحقيقة ادنى نصيب (١. ولعلّهُ ذكرها ليُضحك قرّاءهُ او ليُعظم حجم كتابه وربُّك فوق كل ذي علم عليم (التتمّة لعددٍ قادم)

نعمة ابن الخوري توما الحلبي الشاعر الناثر

بقلم حضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الماروني الحلبي

صدر العدد الثالث من المشرق الاغر من السنة الجارية يحمل الى قرّائه الكرام نَشرَ ابن نعمة الخوري توما الحلبي احد ادباء القرن الثامن عشر فكان ذلك بعثًا لبعض ذوي البحث عن اخبار السلف على ان يتحرّوا مواصلة التنقيب والتنقير عن بقايا اخبار هذا الرجل وآثاره

ولمّا كنتُ قد حويت بين صُحفي المخطوطة ما بقي من تركته العلميّة رأيت ان اقوم بواجب محبة الوطن العزيز فأتحف القوم بما وقفتُ عليه من ترجمته ثم اتبع ذلك بنبذة من شعره ثم انثر بعدئذٍ ما انبأ به من احداث الروم الملكيين الكرام وليس لي من غاية سوى نشر مفاخر القدماء واثارة دفائن كنوزهم لئلا تغتال بقاياهم ايدي الدثار والضياع فاقول وعلى الله الاتكال

---

١) واما امر الحرقة التي ذكرها فهذا صحيح في فرصةٍ واحدةٍ وهي: اذا كان قد شاع عن المرأة ما ينافي شرفها لتذكّي بذلك نفسها

١

ولد نعمة المذكور بمدينة حلب في اواخر القرن السابع عشر. وكان ابوهُ الخوري توما احد كهنة الملكيين نافذ الكلمة. سامي الكعب في قومهِ لِما حباهُ الله من الذكاء ودماثة الاخلاق. والراجح ان نعمة واباهُ لم يكونا من المتقدين العقيدة الكاثوليكيَّة منذ مولدهما بل من المعترفين بها في مستهلّ العصر الثامن عشر الذي فيهِ كان ارتداد الملكيين في حلب الشهباء. (١ كما يعلم الخبراء باحداث واحوال تلك الايَّام

ولمَّا ترعرع الفتى شرع يدرس مبادئ العلوم برغبة عظيمة على ادباء مدينتهِ المحبوبة فاتقنها بوقت قريب. ثم أخذ يتعلّم الشرع والفرائض على الفقهاء الضليعين فاصاب منهما حظًّا وافرًا كما يُتحصَّل من الصكوك والوثائق العديدة التي انشأها. ثم حملهُ حبُّهُ للآداب على ان يتفرَّغ للاشتغال بعلم المعاني والبيان والبديع والشعر وغيرهِ من آداب اللغة العربيَّة الشريفة ففاز بالتحصيل وحفظ شيئًا كثيرًا من اشعار العرب ونوادرهم واخبارهم الى غير ذلك مما جعلهُ في الطبقة الثانية بين رجال العلم في ذلك العصر الانور الذي بزغت فيهِ شموس المعارف وراجت بضاعة الآداب في الشهباء. كما اشار الى ذلك المشرق الاغرّ غير مرَّة

وقد اشتهر نعمة عند اصحابهِ بأدب النفس وعلوّ الهمة وثبات العزيمة واصابة الرأي وحسن العقيدة وقويم الايمان وطيب الاحدوثة. وكان مع ذلك عذب اللسان خفيف الشمائل فرغب ادباء البشر ووجهاؤهم من نصارى ومسلمين في مجالستهِ واعجبوا برقَّة محاضرتهِ

٢

ثم ان نعمة تأهل في ريعان الشباب فرُزق اولادًا انجابًا لا يُعرف منهم سوى ثلاثة وهم توما وجبرائيل وانطون. امَّا توما وهو اكبرهم سنًّا فاخذ الآداب عن ابيهِ فادرك المرام ولا اعلم من اخبارهِ شيئًا سوى هجرتهِ الى مصر من العجز الذي احاق

---

١) قال العلَّامة الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات ما حرفهُ: وفي زمانهِ « اثناسيوس الدبَّاس » عرف روم حلب الايمان الروماني وتمسك بهِ الكثيرون. وكان اثناسيوس يرى دخول هذا الايمان في رعيتهِ وهو يتغاضى عن ذلك. ورسم كهنة كاثوليكيين كثيرين وبواسطة رسامتهم انتشر الايمان المقدس كثيرًا. اه عن ديوان البدع

بهِ في رجب سنة ١١٦٩ هجريَّة (١ الموافقة لسنة ١٧٥٥ م فماج باللاذقيَّة (٢ وبيروت. واليك ما قالهُ والدهُ نعمة في وداعهِ مرويًا بالحرف الواحد:

ولمَّا قضى التوديعُ فينا قضاءهُ   وزفّت مطايا البين رَكب الترحُّلِ
فقلتُ لصحبي ودمعي [قد] جرى   قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقد افاد حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي انهُ عثر عند احد وجوه بيروت على خبر رحلة من حلب الى اللاذقيَّة فبيروت فمصر كتبها بعض الحلبيين نثرًا ونظمًا وهو يظنها من قلم توما المذكور (المشرق ٥ :١٠٣)

واما جبرائيل فنشأ على حبّ المعارف فكان لها ابنًا وبيًا ولكنَّهُ لم يدرك الشباب حتى اصابهُ مرض ناهك تخوَّن جسمهُ مدة من الزمن فاوردهُ ورد المنيَّة في مقتبل العمر. فناح عليهِ والدهُ نعمة نوح الحمام وبكاهُ بتقل الغمام وقصَّد في رثائهِ القصائد العديدة منها قولهُ:

يا لقومي إعذروني ضاق بي وَسْعُ الفضا
يا لقومي ضاق ذرعي عيل صبري وقضى
يا لقومي ضاع رشدي فبمَ أنفي القضا
يا لقومي غاب جبرا ئيلُ عنّي ومضى
غاب عن عيني فجفني بعدهُ لن يغمضا
خلّف القلب بجمرٍ دونهُ جمرُ الغضا

الى ان قال:

هل ترى يجنو فيدنو بَرقهُ إن اومضا
لا لعمري هل يُرجَى عَودُ امسٍ إن قضى
حكم الله بهذا فالرضى ثمَّ الرضى
فلهُ الحمد على ما حكمهُ فيهِ مضى
ما تجلّى في دياجي الا م ليلٍ نجمٌ ومضى

ولم اقف على شيءٍ من آثار جبرائيل المذكور سوى العلم بمجموعة لهُ ذكر عنها نعمة والدهُ في جملة رسائلهِ انهُ اهداها لبعض اخدانهِ لئلا تُعيد عليهِ تذكار الشجون دون ان يصرح بمحتوياتها. واما انطون فلم اقف لهُ على شيءٍ من الاخبار اصلًا

---

١) كذا جاء في مجموع نعمة فاوردتهُ بحروفهِ

٢) في المجموع المذكور رسالة وجهها نعمة الى ابنهِ توما عند وصولهِ الى اللاذقيَّة فيها من النصح الابوي في التدين وحسن التعامل ما ليس بعده زيادة لمستزيد

٣

انس نعمة بالبطريرك اثناسيوس الدبّاس فتزلّف اليهِ واطرأهُ الاطراء البالغ بالقصائد الغرّاء. فادناهُ هذا البطريرك منهُ وجعلهُ كاتب اسرارهِ وواصلهُ بالصلات العديدة فحسنت معها حالهُ بعد الإملاق فصحبهُ حتى آخر حياتهِ. اما الرسائل التي كتبها نعمة عن البطرك المنوه بذكرهِ الى الاحبار الاعاظم والكردينالات والاساقفة والوجهاء وبعض سراة المسلمين فلم يبقَ منها سوى ثماني عشرة رسالة

وقد عهد اليهِ بتلك مهنة الكتابة استفاءُ جراسيموس ومكسيموس الحكيم وقومهُ الملكيون وغيرهم من الحلبيين على ما يظهر من مجموعهِ الذي اودع فيهِ كثيرًا من الرسائل والصكوك والوثائق وغيرها مما سيأتي ذكرهُ

وعند ما احتضر البطريرك اثناسيوس الآنف الذكر سعى عنده صاحب الترجمة وبعض وجهاء قومهِ ملتمسين منهُ ان يكاتب البطرك القسطنطيني في سيامة سلفسترس المشهور ففعل. فعاد هذا السعي عليهم بالوبال لما سامهم بهِ هذا البطريرك الدخيل من ضروب الاعنات وصنوف المحَن وانواع الفظائع حتى انّهم اضطروا في سنة ١٧٤١ الى مالأتهِ ومصافاتهِ على يد رجل يدعى موسى ابسطولي من مدينة باياس. ثم ما عتّم الامر ان قاطعوهُ ونابذوهُ وتملصوا من شرّهِ بفرمان سلطاني سام.

ولا ريب في ان المترجم بهِ قد ترحل عن الشهباء مرتين الرحلة الاولى الى بعض مدن ارمينية كطوقات فلقي فيها الامرّين فشكا ما لاقاهُ من غلظة اهلها وهجاها بقولهِ:

وبلدةٍ ما شانها ناظرٌ مع اهلها الّا وعنها نَفَرْ
كانّما الاسطبلُ تكوينُها واهلُها فيهِ جلوفُ البَقَرْ

والاخرى الى بعض مدن سورية كبيروت فادهشهُ ما صادفهُ من اكرام الوفادة عند الشيخ نوفل الخازن الشهير(١ الذي كان قنصل دولة فرنسة الفخيمة في ذلك العصر كما يظهر من رسالتين مثبتتين في مجموعهِ الواحدة وجّهها الى الشيخ المذكور اعترافًا بجميلهِ. ثم زاياها ميتمًا صيدنايا حيث وقف على اطلالها وقفة المتأمل الشفيق وانشد هنالك قصيدة المع فيها الى دروسها الدوارس متطرقًا الى اطراء مريم العذراء اشرف العالمين

وقد ابتلى الله نعمة في آخر حياتهِ بتجارب ومصائب عديدة احتملها بصبر عجيب

١) راجع ما ورد عن هذا الرجل العظيم في ص ٢٢٣ من تاريخ الطائفة المارونية

منها هجرة ابنهِ توما الى مصر . ومنها وفاة ابنهِ الآخر جبرائيل . ومنها امراض وعاهات تخوَّنت جسمهُ مدة حتى جرعتهُ كأس حَينهِ . ومنها الإملاق فكان من اشدّ النوائب فاضطرَّ الى بيع ما ملكت يداهُ حتى كُتبهِ فقال في ذلك قصيدة هاك منها ما يأتي :

يا ربِّ قد بعتُ كُتبي فحسبيَ الذلُّ حسبي
بعتَ الصفيَّ (١ برخيصٍ ومثلهُ المتنبي
وَإبنَ هاني ويا ما هُنّئتُ فيهِ وصحبي
كذا القلائد لمَّا غلتْ قلائدُ كسبي
عقيانها (٢ بايَنَتْني فبان إفراط كربي
خريدة القصر (٣ اضحت عن قصر يديَّ تنبي
والتفتازانيُّ (٤ افتى تصريفهُ فلّ خطبي
تعدادها زاد وجدي والعدّ يوجب ثلبي
فالصمت عن ذكر كتبي اولى لتخفيف ما بي
لا درَّ درُّ زمانٍ فرّق بيني وكُتبي
وليتني لو تقضّى من قبل بيعيَ نحبي
وكلّ هذا لأنّي عصوتُ بالاثم ربّي
وفُقت اهل المعاصي طرًّا بافراط ذنبي
فما ترى عدتُ ألقى من القصاص المهبِّ
او من يقيني منهُ والاثم يوجب عتبي
الّاك اذ انت ربّي وفي الخلاص محبّي
اليك وجهتُ وجهي يا ذا السميع الملبّي
فأنعم بتوبة عبدٍ من الغواية مسبي
بجاه بكرٍ بتولٍ شفيعتي يوم كربي
مني عليها سلامٌ عن خالص الحبّ ينبي
من عبد رقٍّ يرجّي من فضلها خير قربِ
فذاك غاية سؤلي ومنيتي وهو حسبي

٤

الغالب على الظنّ ان نعمة لم يترك بعدهُ سوى مجموعٍ خطيّ دعاهُ « عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق » وقال في مقدمتهِ عليهِ انهُ عُني بجمعهِ ليجمل رسائلهُ

١) يريد ديوان صفي الدين الحلّي
٢) اي كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان
٣) خريدة القصر لعماد الاصفهاني ٤) اي كتاب المطوّل على التلخيص للتفتازاني

« دستوراً لاولاده يقتدون بها فيما يلتزمون به والبه من نظائرها ». وقد اسعدني الحظّ ان اضمّ منهُ نسخة كاملة الى كتبي المخطوطة وهي النسخة التي وقف عليها جناب الاديب حبيب افندي الزيات. ويؤخذ من فاتحتها ان جامعها ابتدأ بجمعها في شهر محرَّم افتتاح سنة ١١٧٣ ﻫ (١٧٥٩ م). وليس في آخرها خاتمة تشعر بالفراغ من جمعها او نسخها في السنة السابق ذكرها خلافاً لما ظنّهُ البعض بل ترى فيها من الرسائل والقصائد ما يتصل عهدهُ بما وراء ذلك التاريخ الى سنة ١٧٦٧ م وهي في هذا لا تختلف عن نسخة مكتبة الآباء اليسوعيين الفضلاء (١. اما خطّها فيختلف في اولها عما بقي فيها وليس بجميل مُشرق بل يقتضي النصب لاستخراج ما فيها من الأحداث وغيرها

اما المجموع فهو عبارة عن كتاب كبير الحجم في ٢٧٣ صفحة يحوي تسع وسبعين صورة من مناشير ووثائق وصكوك وعرائض (عرضحالات) واجارات ومعاهدات وبرآات وغيرها. وسبع وسبعين رسالة في سائر ابواب الترسل كالتهنئة والتعزية والشوق والعتاب والطلب والتوصية والاعتذار والشكر والنصح والثناء الى غيرها مما انشأهُ صاحب الترجمة عن لسانهِ او لسان اهل طائفتهِ الملكيَّة وسواهم الى الباباوات والكردينالات والاساقفة والسفراء والوجهاء وغيرهم من مواطنيهِ. وهذا يدلّ بلا ريب على ان ذلك كان من مهنتهِ الخاصة

وفي المجموع من انشائهِ رسالة مسهبة في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة دعاها « خلاصة حبّ الفؤاد بنصح الآباء للاولاد ». وقال في مطلعها انهُ الّفها لنصح اولادهِ وارشادهم في الدين وحثهم على الفضيلة وترغيبهم في الآداب وهديهم الى حسن التعامل مع البشر في متاجرهم ومعاطاتهم. وقد اكثر لهم فيها من النصح وضرب لهم الامثال وتمثل باقوال الحكماء والشعراء في هذا المعتمد

ومما جاء في هذا المجموع من تعريبهِ اربع برآات صادرة من الطيب الذكر البابا اكليمنضوس الثالث عشر في ابطال بطركيَّة السيد اغناطيوس جوهر وتنصيب السيد مكسيموس حكيم (٢. ثم من تعريبهِ ايضاً مقالة السيد اثناسيوس الدباس في

١) راجع المشرق (٥: ١٠٢٠)

٢) طالع ذلك في مختصر تاريخ الروم الملكيين ص ٥٢ وما يليها

الزاوَن اي الماء الحار الذي يصبهُ كهنة الروم في الكأس قبل التناول. وهو ردّ على السيّد افتيميوس مطران صور وصيداء وهذه المقالة حسنة حريّة بالنشر لفوائدها

ثم يلي المجموع المذكور نبذة من شعرهِ تحوي نحوا من خمسين قصيدة في معانٍ مختلفة كالتهنئة والرثاء والمدح والذم والترسل والاستعطاف وما ماثل ذلك واكثرها في الرجال الافاضل كالبطريرك اثناسيوس الدباس والمطران جرمانوس فرحات وجراسيموس مطران حلب والخوري نقولاوس الصائغ والشماس عبد الله الزاخر والسيد مصطفى الحلبي والسيد مصطفى البتروني واليـاس فخر الطرابلسي وجرجس عائدة وغيرهم من مشاهير ذلك العصر ووجهائهِ ·

ولا بدّ من التنبيه على ان هذا المجموع لا يخلو من اغلاط لفظيَّـة ومعنويَّة لا ندري الى من ننسبها أإلى الكاتب ام الى الناسخ فضـلًا عمَّا في بعض الرسائل من العبارات الركيكة والالفاظ العاميَّة التي تحمل على القول بعدم رسوخ قدم المنشئ في الانشاء السامي. وعلى كلٍّ فذلك لم يحطَّهُ عن منزلتهِ في اعين معاصريهِ الخالين رحمةُ الله عليهم اجمعين

٥

كان بين صاحب الترجمة وبين بعض ادباء عصرهِ ومشـاهيرهِ مراسلات يطول شرحهـا ويسأم من سَرْدهـا القرَّاء الكرام فأقتصر على رسالة منها وجَّهـا الى العلَّامة الكبير السيد جرمانوس فرحات اذ كان بعدُ راهبًا. أُوردها تعريفًا بمنزلة منشئها المترجم بهِ من الانشاء وتاريخًا لصناعة الترسل في ذلك العصر الانور واشهارًا لمقـام الموجهة اليهِ عند معاصريهِ لأنَّ ما فيها من الاوصاف والاطراء البالغ لم ارهُ في غيرها من الرسائل العديدة. وهاك ما اخترتهُ منها مرويًّا بالحرف الواحد:

« جناب الاب الاقدس الانفس الاوحد الامجد الاديب الاريب الحسيب النسيب الاثير الاثيل البارع الفارع. انسان عين الزمان. نتيجة مقدمتي الدهر والاوان. البازغ في غسق الآداب بدرًا يدين لهُ قسّ وسحبان. والطالع في سماء الفضل شمسًا يكبو لديها النيِّران (١... الحائز السبق في حلبة الفضائل والافضال. والمتسامي بسمو

١) كان بين كل فقرة من الفقرات التابعة ابيات شعريَّة من معنى النثر اذا جُمعت تألف

سؤدده متون الكمال. اوحد العصر حزماً وعزماً ومقالاً. وامجد ابناء الدهر سناء وأخلاقاً وخلالاً... مَن سما بسمو فضله السماك وكيوان. واوضح عن مقدمتي المجد نتيجة البرهان. فأشير الى برّ محامده بالبنان. وسارت بذكر ثناء مدحه الركبان... لا غرو فقد كان عن الفضل ناتجاً فغدا لهُ مُنتجاً. وعن الشرف الباذخ آخذاً فصار لهُ مدخلاً ومخرجاً. وتجارى في حلبة الفنون والآداب. فدان لهُ كلّ قوول ثم قطّب وتاب. اذ اتى بما لم تستطعهُ الاوائل. فانسى ذكر سحبان وائل... من حكمة وذكاء دان لها ارسطو واياس. وأُلجئ كل منهما الى اليأس. ادرك بهما حقائق الموجود. في عالم الغيب والوجود... وفلسفة تغلغل في اظهار خوافي دقائقها. وتعمّق في تحقيق كنه حقائقها. فكشف عن ابكار مخدَّرات معانيها نقابها. وذلّل من شوامس مشكلاتها صعابها... ومنطق سلب العقول بموجب قياسه المستقيم. واستُطلعت طوالع الانوار بضياء مسلسل نوره الوسيم. وتألقت الشمسيّة (١ بإنارة الشمسيّة فاغنت عن الشمسية ... وعلم لاهوت تألّه به قلبهُ. واشتغل باعماله لبّهُ. فعرف بواسطته حقّ توحيد الله بالذات. وتثليثه بالصفات. ماثل به مار توما واوغسطين. وشابه سكوطو(٢ باثبات الحق اليقين. لهُ في كلّ وجه من اوجه اصوله نظرٌ. وفي كل بحث من ابحاث فروعه قولٌ مبتكرٌ. اطّلع به على اسرار التنزيل. وغاص في لجّ يمّه فطلع بجواهر الاجمال والتفصيل... وفقه ذمّة دان لهُ ديانا ومالان (٣. واعترفا ان ليس لهما عندهُ في حلّ عقده يدان. اذ جاء فيه بما تعجز عن ادراكه الافهام. وميّز بقسطاس دلائله فيما بين طريقتي الحلال والحرام. وقضى بموجب عدل عدالته على قضاة الاحكام. وفصم عرى الظلم جازماً بحقيقة الصواب ما بين أئمة هذا الفن الأعلام...

ووعظ ضاهى فيه المسجديَّ الفم بالفاظه الدريّة. واختراعاته الروحيّة. ان ذهب ارجف فرائص النفوس. وان رغب اوضح أنَّ لا عِطرَ بعد عروس. وان علّم اهدى

منها قصيدة قائمة برأسها فاضربتُ عنها ميلاً الى الاختصار واكتفاء باثباتها في ترجمة السيد الموجهة اليه التي سانشرها للطبع قريباً ان شاء الله تعالى

١) الشمسيّة اسم كتاب في المنطق

٢) سكوطو احد أئمّة اللاهوتيين من الرهبنة الفرنسيسيّة

٣) كلاهما من معلمي الذمّة

الى سبل الصلاح وترادفت نحوهُ اصوات الصارخين حيَّ على الفلاح

ونحو نحا اليه سيبويه منخفض الجناح. وحتم الزمخشريُّ بنصب فضله على حال النجاح. ورفع ابن هشام ألوية تمته بهِ الى ارفع مقام. جازماً انهُ فيه الامام الهمام..

وصرف انصرفت اليه افعال القلوب. وجآت مصادرهُ على اكمل وزن واحسن اسلوب. اعتلَّ لسلامته التفتزاني. وانفصل ضميرهُ باتصال تحريره القاضي الارجاني...

وأدب قد اقتطف من ازهار رياضه نضيرها. وارتشف من زلال لطائفه غيرها..

وبديع قد شرب من رقيق الالفاظ بداهة المعنى البديع ضمّت بين لطافته ولطفه القافية. وتجانست انواع طرافته وظرفه بالعلّة الوافية..

ونظم لو حاولهُ النظام لانثال عقد نظمه وانهار. ولو سامهُ قُدامةُ لقدَّمهُ على الاقران. ان ضمَّ سلكهُ اراك الدرر المشبَّهة بالدراري. والغرر التي يستطيع بسلكها كلُّ غاضٍ وساري

ونثر نُثرت عندهُ قلائد العقيان. وودَّت الخريدة تجرّ ذيل الخجلان. وودَّت النثرة لو كانت لهُ نثاراً. والشعرى لو جُعلت لدرره شعاراً. ان سجع علَّم القمريَّ تغريد الالحان. واراك العندليب كيف يشجو على الاغصان...

وعلى كل حال فقد سما مذ سما متون الكمال. وانتشى مذ نشا سواطع الفضل والعلم في كل مجال. فغدا محصلاً في العلوم قصب السبق في ميدانها. ومحرزاً في الفضائل القدح المعلَّى يوم رهانها... فعلا عن النعوت والاوصاف. عند كل من دخل في نعته الى حيّز الإنصاف

فلا برح بحر علمه وفضله تيَّاراً. ودرّ اهدائه وارشاده مدراراً. ولا زالت تهبّ شمال شمائله في سماء فضائله. ولا انفكّت الفاظهُ ومعانيه تتسابق الى القلوب والآذان. حتى لا يُدرى ايّها السابق في مضمار البيان. ولا فتئت اياديه الحسان بالغة الى مدى ما يلحقهُ الاستحسان. ما بيَّض سوادُ اقلام البلغاء وجوهَ الطروس. وألّفت ألسن المخلصين بصدق الوداد وهو عندهم اليمين الغموس. انهُ ما مثلهُ انيس مأنوس. وبعدُ فالباعث الخ»

انتهى ما اقتضبتهُ من هذه الرسالة وهي من اطول رسائل المنشي. المترجم بهِ واحسنها معنًى ولفظاً وسبكاً. وعلى هذه الرسالة اجاب السيد جرمانوس فرحات بقصيدته البائية المثبتة في ص ٦٤ من الطبعة الحديثة من ديوانه

هذا ما رأيتهُ في ترجمة نعمة الحلبي حريًّا بالذكر فاوردتهُ بالتدقيق البالغ وانا

متأسف لاني لم اقف على سنة وفاتهِ مع كل ما بذلتهُ من جهد الطاقة في الاستقصاء عنها فلعلها سنة ١٧٦٧ التي فيها انقطعت اخبارهُ والله اعلم. رحمهُ الرحيم الرحمان وأمطر ضريحهُ صيب الرحمة والرضوان

الكمْبيلوغراف

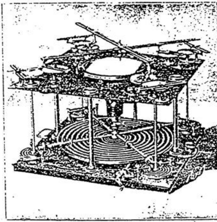
آلة جديدة لرسم الاشكال الهندسيَّة

لمنة للاب ر. ش. اليسوعي

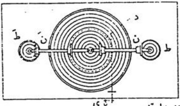
قال احد ارباب العلوم الهندسيَّة الحدثين: «انَّ الرياضيَّات أفخم بناءٍ شيَّدهُ عقل البشر». وهو قول صادقٌ لولا انَّ هذا الصرح الجليل لصعوبة مراقيهِ لم يدخلهُ سوى نوابغ القوم ممَّن خصَّهم الله بالعقول النيّرة والاذهان الوقَّادة

على انَّ الرياضيَّات رغمًا عن علوّ مقامها اذا ما زاول فنونها رجالٌ من ذوي الخبرة والحذق ربَّما اتت باعمالٍ عجيبة تخلب العقول وتأخذ بمجامع القلوب. وقد اجاد العرب في رسم الخطوط الهندسيَّة ووضعوها على صور شتّى واشكال متعددة لا يتمالك ناظرها الَّا أن يُقرّ بتقدُّمهم وبراعتهم في هذا الفنّ. وقد جمع بعض كبار المستشرقين ما وجدوهُ من هذه التصاوير الغريبة والخطوط العجيبة التي جرى عليها العرب في تركيب الفسيفساء والتطعيم والنقوش المختلفة. ولاحد هؤلاء العلماء المسيو ي. بورغوان (J. Bourgoin) كتاب بديع في بابهِ اودعهُ ١٩٠ صورة هندسيَّة نقلها عن نقوش عربيَّة قديمة وطبعها في باريس سنة ١٨٧٩ ودعاها «اصول الفنّ العربيّ» (Les éléments de l'art arabe) وكلّ هذه التصاوير مرجعها الى خطوط بسيطة اصطنعها العرب بالقاعدة والبيكار تروق العين مع اشتباكها وتداخل بعضها في بعض وهي مبنيَّة على خواص الإشكال المتعدّدة الزوايا من خمس الى ١٢ زاوية. ولكل صنف اقسام متعدّدة تنقسم اليها بهيئات بديعة. وكان العرب اذا رسموا هذه الخطوط يعمدون الى الاصداف او العاج او الحجارة المتلونة يركّبونها على الشكل الهندسيّ فتكون غاية في الحُسن. وقد ألحق المسيو بورغوان كتابهُ بعشر صور ملوّنة تظهر فيها الاشكال الهندسيَّة

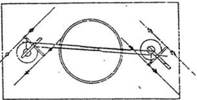
السابق نقايا بالوانها عن اعمال قديمة من الشَّبه والحديد والفسيفساء والخشب عثر عليها في الشرق لاسيَّا في القاهرة ودمشق



١



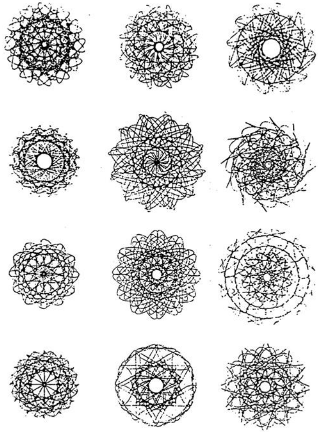
٢ المحرِّك



٣ مبدِّل الحركة

الشكل ١ . الكمپيلوغراف — الشكل ٢ . محرك الكمپيلوغراف — الشكل ٣ . مُبدِّل الحركة في الكمپيلوغراف

وقد جعلنا كلامنا السابق على الاشكال الهندسيَّة عند العرب كتوطئة لذكر آلة جديدة اخترعها الاب مرقس ديشڤرنس (M. Dechevrens) اليسوعيّ الذي ورد اسمهُ في العدد الاخير من المشرق (ص ٣٧٩). والاب الموما اليهِ من جهابذة العلوم الرياضيَّة والفلكيَّة احرز لهُ فيها فخرًا باذخًا. وكان سابقًا يتولَّى مرصد اليسوعيين في زيكاواي من اعمال الصين وتفنَّن فاخترع عدَّة آلات لرصد الآثار الجويَّة منها آلة دقيقة الصنع اتَّخذها مهندسو برج أيفل في باريس فجعلوها في اعلى قمَّتهِ لتدوين حركات الجوّ. ثمَّ استدعاهُ رؤساؤهُ لينشئ مرصدًا جديدًا في سنت هيليار (Saint-Hélier) من مصانع جزيرة جرساي الانكليزيَّة. وممَّا توفّق الى ابتكارهِ قبل سنتين آلة تُعدُّ من آيات الله وعجائب المصنوعات قد دعاها «كمپيلوغراف» اي راسم الخطوط المنحنيَّة (انظر الشكل الاول)



اشكال هندسيّة مرسومة بالكيلوغراف

واذا حاولنا وصف هذه الآلة بالاجمال قلنا انّها عبارة عن مجموع ادوات الرسوم الهندسيّة يُنال بها ما ينالهُ المهندس بالقلم والقاعدة والبيكار وبالآلات الاهليلجيّة والساجميّة والبيضويّة بحيث يصحُّ القول عنها انّها تدوّن كلّ الاشكال الهندسيّة التى

يمكن اختراعها من اي درجة كانت وكذلك ترسم كل الخطوط الجبرية المنعطفة بسيطة كانت او مركبة وربما افضى تركيبها الى تشكل لا يمكن لأرباب الجبر والمقابلة حلّه بعملياتهم الجبرية

ومن غريب امر هذه الآلة ان صاحبها لا يحتاج الى صورة سابقة يرسمها اولًا ثم ينقلها بآلته كما يُفعل بالپنتوغراف (Pantographe) وكذلك هو في غنى عن المواد الهندسية الاولى التي تتركب منها صور النظارة المعروفة بالكاليدوسكوب (kaléidoscope)· اما الكيبلوغراف فانهُ يرسم بذاته صورهُ بل يبتدعها دون مثال سابق· ويكفي لصاحبه ان يجهز الآلة بأدواتها ويجعلها على هيئة ما فتراها لساعتها تجري بقلمها وترسم الرسوم البديعة التي لم تخطر على بال مصوّر· واذا ابصرتها عين الناظر في وقت العمل حسبت انها تخطّ خطوطها مشوّشة دون قاعدة حتى اذا انتهت من العمل خرجت الصورة تامة الأهبة رائقة المنظر يمكن لارباب الهندسة ولاهل الطرازة والترصيع والنقش ان يتخذوها كمثال لبدائع المصنوعات والفنون الجميلة

امّا عدد هذه الاشكال فيتجاوز كل احصاء· فانّ طلاب ديشڤرنس آلة تصوّر ١٠١٧ شكلًا هندسيًا ويدخل تحت كلّ شكل عدّة اشكال ثانوية لا يرى الرائي بينها تشابهًا الّا بعد النظر الملي· وقد رسمنا عددًا من هذه الصور تدخل في شكل هندسي واحد (اطلب الصفحة ٤٠٧)

*

وان طلب الينا القارئ ان نصف لهُ الكيبلوغراف ونبيّن لهُ الى اي مبدإ استند مخترعهُ في تجهيزهِ اجبنا انّ هذه الآلة مبنيّة على مبدإ تركيب الحركات الاهتزازية القائمة الزوايا (composition des mouvements vibratoires rectangulaires) وهو يتركب من قسمين جوهريين من مُحرّك ومن مُبدّل الحركة

فالمحرّك (الشكل الثاني) عبارة عن كفّة (طارة) مستديرة افقيّة (د) تُدار بيد (ي) وفي وجهها عدد من الدوائر المسنّنة· وعلى جانبي الكفّة طارتان صغيرتان فيهما ثلاث او اربع دوائر مسنّنة وفي الكفّة الكبرى جُزْزان متحرّكان (bielles) ينقلان الحركة منها الى الطارتين الصغيرتين

امّا مُبدّل الحركة (الشكل الثالث) فالغاية منهُ ان يغيّر الحركة المتساوية في قُطبَي

الطارتين الصغيرتين المتساوية الى حركة متذبذبة قائمة الزوايا (mouvement oscillatoire rectiligne) وأن يجري بقلم رصاصي يقيّد حاصل الحركتين التذبذبتين المذكورتين وهذا الحاصل يمكن تدوينهُ على ورق مثبت فوق الطارة الكبرى

وللكيبلوغراف تجهيزان مختلفان الواحد بسيط تُنال به الاشكال الناتجة عن تركيب حركتين او ثلاث حركات اثنتان منها قائمتا الزوايا والثالثة مستديرة متساوية. والتجهيز الآخر مركّب تُنال به كلّ الاشكال والصور الناتجة عن تركيب حركات مختلفة من الحركتين الى الخمس. وقد اسهبت المجلات العلميّة في بيان خواصّ التجهيزين معًا واثنت على سموّ مدارك صاحبهما

امّا خواصّ الكيبلوغراف فهي عديدة منها اوّلًا انّهما تصوّر على طريقة سهلة الاشكال المنسوبة الى العلّامة ليساجو (Lissajous) وكان هذا الطبيعيّ الشهير يرسم حركات دوزانين مصلّبين (diapasons croisés) فيبدّل حركاتها الاهتزازيّة القائمة الزوايا الى حركات مستديرة او اهليلجية او منحنية. وآلة الاب ديشرنس تفضل على آلة ليساجو من حيث توفّر الاشكال وكمالها ودقّتها

ومنها انّها توسّع نطاق الجبر والمساحة اذ تولّد اشكالًا غريبة لم يفكّر فيها الرياضيّون وهم اليوم يسعون في حلّ اسرارها المكنونة

ومنها انّ اشكال هذه الآلة تصلح لجميع الفنون الجميلة والنقوش المستعملة في البناء والهندسة والفسيفساء والتطريز والتطعيم

ومن خواصّها ايضًا انّهُ يمكن استعمالها في رسم الدوائر ذات المركز الواحد (cercles concentriques) وذات المراكز المختلفة (cercles excentriques) بتغيير وجهة بعض الادوات بلا كلفة ولا عناء.

ومن خواصّ الكيبلوغراف العجيبة التي وقف عليها الاب ديشرنس مؤخرًا انهُ يمكنهُ ان يرسم كلّ الاشكال بهيئتين الواحدة سويّة والأخرى ناتئة بحيث ترى العين الخطوط كأنّها مجسّمة بعضها فوق البعض وذلك بتحوير خفيف في ادوات الآلة. وهي لعمري مزيّة تزيد هذه الآلة حسنًا وعائدة. ولا يسعنا ان نختم هذه النبذة الّا بشكر الخالق على ما اولى العقول البشريّة من الذكاء. فمكّنها من ايجاد مثل هذه العجائب الدالّة على قدرته تعالى سبحانهُ فانهُ ربّ الجبروت المتعال وصاحب كلّ كمال

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تتمة)

ثم ان الاب يوحنا رفع بصره الى السماء متوسلًا وكانت حركات شفتيه وهيأة عينيه الشاخصتين في العلاء تشعر بانهُ يصلّي بايمان عظيم وحرارة شديدة طالبًا من الحقّ سبحانهُ رحمةً ورأفةً بمن عذَّبهُ ونكّد عيشه. فيا لله ما كان اعجب منظر شيخ في الثمانين من سنه يبتهل من اجل جلّادهِ ومضطهدهِ

ولما شاهده الحضور على هذه الصفة اخذوا يأملون املًا بل يوقنون مثلهُ ان الرأفة الالهيَّة حركت في الدقيقة الاخيرة قلب جوسلين على الانابة والندم علمًا منهم ان للرحمة والنعمة في بعض الاحيان أسرارًا خفيةً لا تبصرها عيون الناس لان الله عزَّ وجلَّ قد يكشف نفسه عند آخر دقيقة من الحياة للنفوس التي كان معظم شقائها بجهلها فتكون آخر زفرة تصدر منها بمثابة نحيب يستدعي المغفرة من الذي يسبر اعماق القلوب

وهذا الامر عينه يحدث لالوف من النفوس التي تكون مديونة بالنعمة المذكورة لقوم مستترين من اهل التقى ونقاوة القلب ولا ريب ان الله تعالى لم يكن ليرفض هذه المنحة على حبيس البحيرة الذي كان يلتمسها دائمًا بصلوات وتضرعات متتابعة

ثم ان الامير رزق الله هتف قائلًا: عليَّ ان اعوض عما جرى. وعليك ايها الاب ان تترأس العمل فنتمم كلّ ما تأمر بهِ فنبتدئ بتجديد دير القديسة تقلا

— ما معنى كلامك فهل خرب الدير؟

— قد احترق بدسائس من قد طلبتَ لهُ رحمة المولى ورضوانهُ

— والرهبان ماذا جرى لهم؟

— تفرَّقوا تحت كلّ كوكب طالبين لهم ملجأً في جبل اللكام وجبل عكّار

— والكنيسة والمكتبة اخبرني ماذا جرى لها؟

— قد اتلفتهما النار كما اتلفت سائر الدير

فلمَّا سمع الاب يوحنا هذه الكلمات الاخيرة تنهَّد متحسّرًا وظهرت امارات الغم

والكآبة على ذاك الوجه الذي كان يحافظ دائماً على الهدوء والبشاشة لان البار المذكور وان كانت قد ماتت فيه جميع الاهواء البشريَّة من زمان مديد غير انهُ ما زال متعلقاً بالعلم ولوعاً به. ومع أنهُ كان قد نسي أسرتهُ واوطانه ظلَّ كأنَّا بدير القديسة تقلا فاهتمَّ اكثر من كل الرؤساء الذين سلفوهُ بان يجعلهُ مركزاً للعلم والتمدن الحقيقي في جبل النصيرية الذي يعرف الكلُّ ما اختصَّ به اهلهُ من الهمجيَّة والتوحُّش. وقد صرف عنايته بنوع خاص الى مكتبة الدير المذكور وجدَّ وكدَّ مدة طويلة من الزمان حتى جمع فيها عدداً من التآليف النادرة والتصانيف العزيزة المنال.

وكان يرى ان للذين تعرضوا لاذاه اسباباً وعللاً تحملهم على ذلك لكنهُ لم يكن يخطر لهُ ببال أنهم يتصدون للكتب التي جمعها. ومما سبق بيانه ترى ان هذا الرجل العظيم وحيد دهره قد نظر ببصره الثاقب الى علماء الزمان الحاضر الذين يجتهدون بقوَّة البحث والتنقيب في تحليل المشاكل التاريخيَّة لكنهم يتوقفون عنها لعدم وجود تصانيف يعوِّلون عليها ولهذا قد اجتهد مقدَّماً في إعداد التصانيف المذكورة. غير انهُ خوفاً من ضياعها عُني بتكثير نُسخ الثمين منها وكان يظن انهُ بهذه الوسيلة قد ضمن بقاءها للعصور التالية ولم يخطر لهُ ببال انهُ سيندفع عليها غضب جوسلين ويُسلمها الى النار بواسطة طواغيته فمن ثم اصابه من الكآبة لدى علمه بحريقها ما لا يحيط به وصفٌ

ودرى الامير رزق الله بما يحزُّ قلبه من الآلام بسبب هذه الخسارة التي لا تعوَّض فاحبَّ ان يصرف فكره عنها فخاطبهُ قائلاً:

هلمَّ نسافر الآن يا أبتِ. تعالَ نرجع الى لبنان الى هذه الارض التي تحتمي بنازليها وتحفَّهم بالاكرام. الى حيث ترى القلوب كلها مخلصةً لك. هلمَّ فاني محتاج الى مشوراتك ونصائحك تكميلاً للاصلاح الذي شرعتُ فيه من زمان مديد. هلمَّ فعلِّمني هذه الصناعة الصعبة صناعة سياسة الناس وتدبيرهم...

— بل دعني أتعلَّم كيف أموت فقد مضى عليَّ خمسون سنة وانا اتمرَّس على هذه الصناعة وما اظنك تريد ان يلحق ادنى ضرر بالعمل الذي قضيتُ في انجاحه مثل هذا الزمان الطويل. أترك الشجرة حيث هي راقدة ولماذا كل هذا الاهتمام بالجسد الترابي الحقير وبما ان دير القديسة تقلا قد خرب وانقطع الامل دون مشاهدة اخواني فيه فلم يعد من فائدة للسفر الذي تدعونني اليه. واذا كنتُ قد هجرت العالم في أيام

الشباب وعنفوان العمر فلا اشتهي ان اعود اليه وقد فني الجسم وانهدَّ الحيل. وبناء عليهِ لم يبقَ لي الّا ان استعدَّ للسفر الابدي العظيم الذي قرب اوانه ودنا وقت حلوله

فاجاب فرا غريفون قائلاً: اننا جميعاً نأمل عكس ما تقول على انك اذا كنت مصمماً على انفاق بقية العمر في الخلوة والوحدة فاي بأس عليك اذا اتيتَ الى جبل لبنان فاتخذتَ لك مقاماً إمّا في وادي قنوبين او في وادي قديشا. هذا ما لم تتنازل لقبول الضيافة في محبستنا بار سركيس بشراي فتوليني بذلك اعظم مسرَّة

امَّا الاب يوحنا فاجاب قائلاً: دعني يا اخي انتظر داعي العناية الالهيَّة في المكان الذي انزلتني بهِ. واعلم ان جسدي الحقير لا يستأهل كلَّ هذا الاهتمام. ثم انك تعلم ضعفه واسقامهُ فكيف يستطيع تحمُّل مشاقَّ السفر

فقال المقدَّم: انَّا نحملك على اكتافنا بل في قلوبنا. قل كلمةً فنسافر

— اشكر لكم كل الشكر يا اولادي فاني غير مستحق لهذه المجاملة

— فقال فرا غريفون: ماذا نجاوب دوق بورغندية نسيبك فقد اوصاني في زيارتي الاخيرة لاوربة ان أُعلمهُ باخبارك

— قل لهُ ان الاب يوحنا قد مات لان موته صار منتظراً من وقت الى آخر. واما انتم يا اولادي الاعزاء فعودوا الى لبنان وحافظوا دائماً على وديعة الايمان وانزلوها منزلة أنفس الكنوز واعتبروها بتمام دقةٍ لاستقلالكم وحريتكم فقد طالما عادت على بلادكم بالعظمة والفخار. ترى ماذا يحل بكم لولا هذه الوحدة الثمينة الغالية. فمن اجل صيانتها بينكم لا تحجموا عن احتمال اكبر الضحايا. ولا تصيخوا الى دسائس الساعين في القاء الزؤان بينكم. يخاطبونكم عن الاستقلال الديني ونبذ التعلق بمركز الوحدة.. فاعلموا ان مصدر ذلك كلهِ الكبرياء والعجرفة والمبادىء التي تسوق الى الهلاك. واذا شئتم ان تتحققوا نتائجها المحزنة فانظروا فقط الى من حولكم وشاهدوا ما احدثتهُ في سائر الطوائف الشرقيَّة فتجزأت وتقسَّمت وفقدت الحياة الروحيَّة والعقليَّة وهيهات ان تهيأ لها استرجاعها ما دامت على هذه الحال. واذا كان اللبنانيُّون قد تألفوا طائفةً فانهم قد توصلوا الى ذلك بانضمامهم الى رعاتهم المرتبطين اشد الارتباط بالكرسي الرسولي. ولو افترضنا انكم بقيتم منفردين ومتكلين على حيثيتكم الخصوصيَّة لما كنتم

شيئاً مذكوراً ولصرتم اشبه بقطرات قليلة ضائعة في اوقيانوس البشريّة العظيم ولكنكم باتحادكم مع اخوانكم في المغرب تتقدمون بقوتهم

تذكروا ان رومية في أيامكم السود قد طالما عاملتكم نظير امّ رؤوف ولا يخفى عليكم ان الولد يشين نفسهُ اذا ما احزن قلب والدتهِ . انضمّوا اذاً حول رؤسائكم الروحيين والزمنيين اي حول بطريرككم الجليل مار بطرس (١ واسانقتكم اعوانه ومقدّمكم الباسل الامير رزق الله . اسمعوا نصائح فرا غريفون وفضائلهُ وبقاءهُ مدة خمس وعشرين سنة يشتغل فيها لصوالحكم بكل اخلاص (٢ تخوّلهُ الحق بان تكونوا لهُ اولاداً طائعين . الآن استودعكم الله ايها الابناء الاحباء وأباركم من صميم قلبي ».

ثم رفع يديه وعينيه الى العلاء .

وكان الامير رزق الله قد تأثر كثيراً من هذا الخطاب فصاح بجنوده فركعوا جميعاً كرجل واحدٍ وقبلوا بركة الاب يوحنا وهو يقول : بسم الاب . . . والابن . . . والروح القدس . . . امين

وكانت هذه الكلمات آخر ما نطق بهِ فلم يستطع بعدها لا الامير رزق الله ولا فرا غريفون ان يزعزعا شيئاً من عزمهِ . وغاية ما امكنهما انهُ رضي بان يبقى لديه لاجل العناية بهِ احد اخوانهِ القدماء في الرهبانيّة وهو الاب جرمانوس الذي مرّت اخبار اخلاصه لحبيس بحيرة قدس

خاتمة

انهُ قد مر على الحوادث التي سبق بيانها نحو من خمس وعشرين سنة وصار القرن الخامس عشر على وشك الانقضاء والزوال

وكان اكثر الذين مثّلوا ادوار هذه الرواية قد غابوا اثناء الفترة المذكورة عن ساحة الوجود . وكان الاب يوحنا حبيس بحيرة قدس اول من غادر الدنيا منهم لانهُ بعد مفارقة اعزائه اللبنانيين لم يلبث طويلاً حتى ادرك نهاية المحن الارضيّة مجيباً داعي الله الذي استقدمهُ اليه ليكافئهُ على حياة صرفها بالاوجاع والعذاب وخدمة البشر

---

١) سلسلة البطاركة (المشرق ١ : ٣٥٠) ٢) المشرق ٠١ مقالتنا في فرا غريفون

باخلاص. وكما ان رجلًا آخر عظيمًا أتى بعده بنصف قرن اعني بهِ القديس فرنسيس كسافاريوس أتمّ انفاسه في جزيرة مقفرة اسمها سنسيان واقعة تجاه الصين هكذا الاب يوحنا اسلم روحه بهدوء في جزيرة بحيرة قدس غير انهُ كان أسعد حظًا من رسول الهند واليابان لانهُ مات بحضور الاب جرمانوس احد رفقائه القدماء في الرهبانيّة

وظلّت وفاته مستترة غير معروفة نظرًا لما توالى من الحوادث الهامّة في جبل لبنان فان الامير رزق الله حالًا عاد من جبل اللكام أصابهُ داء غريب اعجز حيلة الاطباء في ذاك الزمان. وبما ان القوم في شرقنا يرون ان عظماء الدنيا لا يموتون كسائر البشر وان الامراض وحدها لا تقوى على ان تصرعهم مالوا الى القول بوجود سرّ في الداء الذي اصاب امير الطائفة اللبنانيّة واخذ يسوقهُ بتدريج الى شفا القبر ولذلك كانوا في خلوتهم يتحدثون عن عبد المنعم ابن اخيه ويقولون بان لهُ يدًا في سقمهِ لكي يستبد بالولاية بعده. على اننا لا نبحث الان في هل كانت اقوالهم صحيحة او فاسدة بل نقول انهُ بعد ان مضت بضع سنوات على حكومة المقدم رزق الله الموصوف بشجاعته واصالة رأيه وقويت آمال الرعية بحسن المآل وازدهار الاستقبال رزح المشار اليه تحت عبء المهمة التي وليها فكانت لوفاته رنّة اسف شديد في جميع انحاء لبنان لاسيما لان الولاية أفضت من بعده الى ابن اخيه عبد المنعم (١ مقدم جبيل الذي مرَّ من اخباره ما هو كافٍ لاطلاع القرّاء على سوء حاله فهذا ما كاد يتولى شؤون الجبل حتى عادت اليه القلاقل والاضطرابات المدنيّة والدينيّة بل اشتدّ الخوف ايضًا من استفحال امر اليعاقبة الذين كان يعضدهم لولا ان الاب يوحنا وفرا غريفون كانا قد خلّفا وريثًا لغيرتهما اعني بهِ جبرائيل ابن القلاعي الذي عاد وقتئذٍ الى لبنان فافحم الهراطقة بسديد اقواله (٢. وهكذا حافظت الطائفة المارونيّة هذه المرَّة ايضًا على وحدتها التي كثيرًا ما عمل الاعداء على نقضها بمساعيهم الخبيثة

وبعد وفاة حبيس بحيرة قدس وامير بشراي جاءت نوبة صديقهما فرا غريفون فان هذا الرسول المقدام لمّا كان قد كُلِّف من قبل البلاط البابوي ودوق بورغندية بقضاء مهمّة في بلاد العجم أبى ان يعتذر بكبر سنهِ البالغ ٧٥ عامًا فركب البحر قاصدًا طيتهُ

---

١) الدويهي : تاريخ الموارنة ٢) الدويهي والمشرق

ولكنهُ ما كاد يصل الى جزيرة قبرس حتى أُصيب بمرض الموت (١ فقضى هناك نحبهُ وافكاره متجهة الى لبنان الذي قد طالما احبَّهُ ووقف عليهِ اعزَّ سني حياتهِ واثمنها

على ان اللبنانيين لم ينسوا تذكار هـذا الرجل العظيم فان بطريركهم لما كتب في القرن السادس عشر الى البـابا لاون العاشر سألهُ ان يبعث اليهِ مرسلين يضاهون فرا غريفون في غيرته (٢

واما زين وراحيل فكانا يعيشان في قصر البترون بسلام ووئام محفوفين باولادهما وكانا قد انقطعا الى حسن تدبير الرعية التي سُلمت اليهمـا والعناية بايرادها موارد السعادة والهناء. فجاء خبر وفاة الاب يوحنـا أشبه بسحابة صيف طرأت على جو افراحهما الذي لم تعرُهُ منذ اتحادهما شائبة كدر ولا نريد بهذا ان معرفتهما لجميل ذاك الرجل البار قد ثقلت عليهما أو انهما ذهلا ما هما مديونان بهِ لعنايته الابويَّة بل المقصود ان الحزن هو كسائر العواطف البشريَّة لا يستتبُّ لهُ دوام. والحق يقال انهُ لا شيء ينشف سريعاً مثل الدمع وان الانسان لا يقوى على تخليد أحزانهِ ولو كان يؤكد أحياناً بالأقسام المحرَّجة انهُ لا ينساها

وكان الموارنة قد شرعوا في ذاك العصر يستوطنون جبـال كسروان محتلين شيئاً بعد شيء. هذه الناحية التي كانت قد اوشكت ان تُقفر بعـد الحملة المشهورة على سكانها (٣ القدماء وكان ذلك بداية لانتشارهم في جنوبي لبنـان حتى أدَّاهم الامر مع كرور الازمان الى احتلال قسم كبير منهُ

وكان النصيريَّة بعد طردهم من عكار وجبل لبنان قد تجمعوا في جبل اللكام واستأنفوا المعارك القديمة مع الاسماعيلية حتى انجلى الامر اخيرًا عن انتصارهم نظرًا لوفرة عددهم (٤ وكانت امارات الانحطاط على الاسماعيليَّة قد ظهرت من قبل ثم اخذت تزيد ظهورًا في القرون التابعة منذرة بقرب تلاشيهم من سوريَّة

اما دير القديسة تقلا فبقي خرابًا لانهُ لم يجسر احد على تجديده من بعد اختطاف

١) المشرق
٢) تواريخ رهبنة مار فرنسيس
٣) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ومقالتنا في نصيرية لبنان (مجلة الشرق المسيحي)
٤) راجع مجلة الشرق المسيحي ثمَّ رحلتنا الى بلاد النصيرية ومجلة الابحاث

الاب يوحنا وكذلك قصر القليعة الواقع بالقرب منهُ اصبح مأوى للوحوش بعد وفاة جوسلين ولم يبقَ منهُ اليوم سوى طلل دارس (١

وقصارى القول انهُ في مدة ربع قرن من الزمان حدث تغيير عظيم في لبنان وسوريَّة المتوسطة ولم يبقَ شيء ناجياً من التغيير سوى الطبيعة وحدها فان مياه بحيرة قدس استمرَّت تتلألأ بلا انقطاع تحت سماء صافية الاديم زرقاء الاهاب

وكذلك ضفافها المخضلَّة بالنبات ما فتئت حركة الحياة منتشرةً في أرجائها لان اسراباً كثيرةً من الجواميس ما برحت ترعى في منابت القصب الواقعة غربي البحيرة وهكذا الطيور ظلَّت تغرد في الآجام الطينة بمنعرجات العاصي. وكانت قبة تل نبي مند تظهر دائماً بيضاء بين الخضرة الكثيرة التي تكتنفها

اما جزيرة بحيرة قدس فازدادت وحشةً لان القوارب ما عادت تقربها من بعد وفاة الاب يوحنا فلم يكن يأتيها سوى قوم قلائل من الفلاحين من اهالي كفر عبده وسومارية يذهبون اليها في ايام البذار والغلال على ظروف ينفخونها لاجل ان يزرعوا ما فيها من الاراضي القليلة الصالحة للبذار

وكان في قمة التل بالقرب من الكوخ الحقير الذي اتخذه الاب يوحنا لسكناه ركام من الحجارة البركانيَّة يعلوه صليب من الخشب ويظلّل الصليب بعض اشجار من الخِلاف. وكان كل صباح ومساء يأتي الى هناك رجل مسنّ فيركع ويقضي الساعات الطوال متأملاً ومصلياً. ومتى همَّ بالانصراف يسجد مقبلاً تلك الحجارة السوداء. وكان الرجل المذكور طويل اللحية مبيض الشعر مرتجف القدم وهو الاب جرمانوس الذي سبق الكلام عليه في هذه الرواية وكان آخر رفقاء الاب يوحنا واوفى اصدقائه فكان كل يوم يأتي المحل المذكور على ما تقدم الوصف زائراً ضريح صديقه ومصلياً عنده ومتوقعاً اليوم الذي يستطيع فيه هو ايضاً ان يرقد رقاده الاخير الى جانب معلمه وصديقه حبيس بحيرة قدس (تمَّت)

---

١) مجلة الشرق المسيحي

اغاني

أسرى البوير في جزيرة القديسة هيلانة

بقلم حضرة الكاتب الاديب شبلي افندي ملاط محرر جريدة النصير

لازمة

حيًّا ترابَ الوطنِ من دمعنا كلُّ صبيبْ
حيث ثوى في الكفنِ كلُّ نسيبٍ وحبيبْ

نحن هنا في الأَسرِ نشكو عذابَ المهجرْ
ومن عيونِ الخفرِ يحفُّنا كلُّ رقيبْ

يقول ناموا عندما تودّعُ الشمسُ السما
فنذرف الدمع دما بين صباحٍ وغروبْ

وكيف ينشانا الرقادْ ومهدُنا شوكُ القتادْ
وفي الحشى حزن البلادْ احرُّ من ذاتِ اللهيبْ

والموج يشكو للصخورْ بين انينٍ وزفيرْ
شكوى اسيرٍ يستجيرْ بالصخر والصخرُ صليبْ

الله ما من موطنِ فكلُّنا ناءٍ غريبْ
وما لنا من مسكنٍ نأوي اليه في الخطوبْ

لازمة

هيا بناتِ الأُسُدِ واجززنَ معقوص الشعَرْ
والبسنَ كلَّ اسودِ وانحبنَ ما طال الدهَرْ

فما بناتُ العربِ في سالفات الحقَبِ
اشدَّ يومَ الحرَبِ منكنَّ عزمًا او احرْ

فقد كتبنا للشعوبْ بالدم اهوالَ الحروبْ
ولم نجد فيهم مجيبْ للسلمِ والحقِّ انتصرْ

والضيم تأباه صدورْ فيها دم العزِّ يفورْ

فاترك على العزّ القبورْ فهي به خيرُ مقرّْ

ونحن آسادُ الاجمْ شمٌ عرانين الهمم
ونحن أنواء الكرمْ والنجم الخُلقِ الاغرّْ

ونحن يوم الجلَدِ بالبأس ابطال البشرْ
من كلّ ليثٍ اصيدِ بالحزم والحلم اشتهرْ

لازمة

ليس لنا غير الرياحْ رُسْل التشاكي والحنينْ
فإنْ سرت قلنا نواحْ وإن غدتْ قلنا انينْ

فأبلغي عنّا الحبيبْ يا ريحُ اشواقًا تذيبْ
فانّنا بين الوجيبْ في الاسر نشتاق المنونْ

ظلمٌ وهجرٌ وقيودْ نفيٌ وقتلٌ ووعيدْ
وكلّهُ يحيي العهودْ فينا للأوانا الحزينْ

فيا نجومًا تطلعُ على اسودٍ تُصرعُ
قولي لهم ما نصنعُ قولي لنا ماذا يكونْ

ويا سماءُ تُشرقُ أما بنا من يرفقُ
أما كفى ما يُبرقُ من دمنا الغالي الثمينْ

ويا صناديد الكفاحْ معاشر العزم المكينْ
ألا رجاءٌ بالنجاحْ والنصرِ والفتح المبينْ

ويا ضحايا في الرموسْ طوباكِ ما بين النفوسْ
لا تقلقي من الانيسْ فهو عويلٌ ونحيبْ

ويا ثرى تلك العظامْ رُحْب بها فهيَ عظامْ
فقد قضت وهيَ كرامْ ودونها صعب الظفرْ

ويا على تلك الرِممْ سلام انفاسِ النسَمْ
ويا سقى دمعُ الديمْ من اهلنا كلّ دفينْ

محادثة ثالثة لغويَّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

جرت هذه المحادثة بيني وبين الشابين اللذين عرفهما القرّاء واسم الاول ثملبة وهو مكابر عنيد اتخذ الموازبة والمماحكة سلاحاً لنصرة شيخه. واسم الثاني عقل وهو من الذين صفت اذهانهم وكرمت اخلاقهم ليس لهُ مطلب غير الحق واليك ما دار بيننا من الكلام:

(ثملبة) ماكنت أريد زيارتك اليوم غير اني اطلعت في المشرق على رواية ما جرى بيننا من الحديث في بعض المسائل اللغوية فجئتك عاتباً على نشر مثل هذه الامور في مجلَّة سيَّارة

(انا) لا داعي لعتبك لانني لم أُسِئك وقد نشرتُ ما نشرتهُ خدمةً لبعض الكتبة لئلا يضلّوا باقوال شيخك وينخدعوا بمزاعمه التي لا سند لها سوى رأيه القائل. ومع ذلك فانا مستعدّ للتصريح باسمك في المشرق اذا عدتَ الى ما كنت عليهِ من المكابرة

(ثملبة وقد احمرَّت عيناه) اطلب منك قبل كل شيء ان تحترم الشيخ ولا تتجرأ على مقامه واذا ذكرتهُ فبخرْ فمك . . .

(انا) ارى انك عائد هذه المرَّة بنغمة جديدة فاذا كان غرضك ان تنقلب هذه المحادثة الادبيَّة الى مشاجرة ومناقرة فما انا من اهلها فارجع الى حيث أتيت واكفني شرَّ لقياك

(عقل) ما هذه الَّا بادرة فرطت منهُ على غير قصد وقد دفعهُ اليها اعتقادهُ ان شيخهُ من اهل العلم باللغة فاسألك ان تغتفرها لهُ

(انا) ان من كان عاقلًا ينبغي ان يبني اعتقادهُ على أساس فان لم يفعل كذلك حُسب جاهلًا

(عقل) هذا هو الصواب بل هو شان كل امرئ لديهِ مسكة من عقل

(ثملبة) لقد اظهرتُ ترَفًا في غير محله فاسألك ان تتجاوز عمَّا فرط وتأذن لي ان اسألك عن بعض الكلم

(انا) اسأل عما بدا لك

(ثملبة) هل يقال خَفَرْتُ ذِمَّتهُ

(انا) نعم يُقال

(ثملبة) اما قرأت المقالة التي كتبها العلامة اللغوي الشهير (!!!) الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلَّة الضياء وفيها غلَّط ابن معتوق في بيته المشهور الذي يقول فيه:
« خفرتُ بسيفِ الغنج ذمَّةَ مغفري »

(انا) نعم قرأتها ورأيت ان هذا الشيخ الذي يدَّعي بسطة العلم ويتطاول على جهابذة الشعراء ومشاهير اهل الانشاء قد غوى وضلَّ فقد زعم انهُ لا يقال « خَفَر ذمَّتهُ بل أخفرها وخَفَر بها » وهو زعم غير صحيح

(عقل) قد عرفتني انظر الى القول لا الى القائل ولا يتغلَّب عليَّ الَّا البرهان فيل لك ان تثبت قولك بدليل

(انا) أليست كتب اللغة واستعمالات البلغاء هي الحكم الوحيد في هذه المسائل

(عقل) بلى ولكن هل من لغويّ يقول انهُ يجوز استعمال « خَفَر » متعدّيًا بنفسه الى الذمَّة ونحوها

(انا) هذا ابن منظور الذي كان من ائمة اهل النحو واللغة يقول في كتابهِ لسان العرب المشهور : « خُفِرت ذمّةٌ فلان خُفورًا اذا لم يُوفَ بها ولم تتمّ وأخفرها الرجلُ وقال الشاعر :

فواعدني واخلف ثمَّ ظنّي وبئس خليقة المرء الخُفورُ

وهذا من خفرتُ ذمَّتهُ خُفورًا »

(ثملبة) وهل يصحّ الاعتداد بكلام رجل واحدٍ ؟

(انا) نِعْمَ المماحكة خصلتك واذا كان لا يرضيك ابن منظور وحده فاسمع ايضًا ما جاء في التاج في مادة خَفَر : « قال شمِر خُفِرت ذمَّةُ فلان خفورًا اذا لم يُوفَ

بها ولم تتمَّ وأخفرها الرجل» فهل تكتفي بهاتين الشهادتين ؟

(ثعلبة) أريد ان تأتيني بكلام مؤلف شهير او شاعر نحرير استعمل خفر متعدياً بنفسه

(انا) ان اول شاهد هو بيت ابن معتوق الذي تقدم ذكره وكل احد يعلم ان لابن معتوق منزلة كبيرة بين الشعراء واهل الادب

(عقل) حانَ لك ان تعرف طبع ثعلبة فزده شهادة أخرى ثمَّ خلهِ وشأنه قنع او لم يقنع

وكان بين يديَّ اذ ذاك نهاية الارب في فنون العرب للنويري فاخذت أقلبهُ فقرأت فيهِ في الفصل المتضمن اخبار دولة بني عباد هذه العبارة: «كيف تتحدث القبائل عنا اذا قتلنا ضيفنا وخفرنا ذمتنا»

اما ثعلبة فوجم غيظاً وكمدًا وودَّ لو ساخت بهِ الارض قبل أن يقرأ كلاماً يتضمَّن فضيحة شيخهِ. وأمَّا عقل فلمَّا رأى منهُ ذلك أخذ يطارحني بعض الاسئلة على الوجه الآتي :

(عقل) ان المقالة التي كتبها صاحب الضياء في الانتقاد على كتبة الجرائد قد جمعها احد الادباء وطبعها على حدة والیوم وافاني ثعلبة واهدى اليَّ نسخةً منها فقرأت في الصفحة ٢٦ منها ما نصهُ: «يقولون هذا الامر يحدو بي الى كذا اي يسوقني اليهِ فيعدون الفعل الى الشخص بالباء والى الامر بإلى والصواب تعديته الى الاول بنفسه لان اصلهُ من حدو الابل ... الخ»

(ثعلبة) يا ليت الشيخ ابرهيم لم يكتب هذه المقالة فقد جرَّت عليهِ الوبال واسقطت منزلته عند العارفين فقد بينتَ لهُ فيها حتى الآن نحو ستين غلطة مع انها لا تزيد على ستين صفحة. وماذا يعمل مريدهُ اذا اراد الدفاع عنهُ واقوال اللغويين واستعمالات البلغاء متظاهرة على تخطئتهِ ؟

(انا) اتظن ان في هذه المقالة ستين غلطة فقط قوِّ قلبك وقل فيها مئة وستون بل اكثر من الاغلاط التي ارتكبها شيخك. وسأوضح لك هذا كلهُ تباعاً وأنشر محادثاتنا في المشرق ليطلع عليها ايضاً من لهم اهتمام بهذه الامور

(عقل) ارى انك قد ذهلت الجواب على سؤالي

(انا) إسمع ما جاء في لسان العرب: «حدا الابل وحدا بها زجرها خلفها وساقها» وقال صاحب التاج: «حدا الابل وحدا بها حَدوًا وحُداء وحِداء زجرها وساقها»

(عقل) تكفيني شهادة هذين اللغويين العظيمين فأنهما يصرحان بان حدا تتعدى الى الشخص بالباء فزعم الشيخ ابرهيم اذًا مردود لا يصححهُ لا استعمال البلغاء ولا كتب اللغة

(ثعلبة) احكي لك الصحيح اني أُحب الشيخ

(انا) وانا كذلك احبهُ فان السيد المسيح أمر ان نحب كل الناس حتى الاعداء فكيف لا نحب الشيخ ؟

(ثعلبة) قلت لك قبلًا انك من الجزويت واكرد الان قولي لاني كيفما خاطبتك تضيّق عليَّ ابواب الجدال حتى تحصرني اخيرًا في مكان حرج لا يُستطاع فيهِ غير التسليم وهو ممَّا يشقّ عليَّ

(عقل) بقيت كلمة واحدة احبُّ ان استفهمك عنها وهي كلمة «صُفار» فان اليازجي غلَّط مجير الدين بن تميم في استعمالها حيث يقول:

وما كان هذا لونها غير انها علاها لطول الانتظار صفارُ

وعدَّ ذلك غريبًا من مثله لان مقتضاهُ ان يقول صُفرة وان الصفار لغة عامّيَّة

(انا) ان الشيخ قد حكم على هذه اللفظة كما حكم على غيرها عن قلّة روية وعدم تحقيق ولو راجع امهات اللغة لكُفي هذه الزلّة التي اضافها الى سائر زلّاته فقد قال ابن منظور: «الصُفار صُفرة تعلو اللون والبشرة» وكثير من الكتبة والشعراء استعملوا ايضًا هذا اللفظ ومنهم الارجاني حيث يقول:

وما كان لون التبر ذاك وانما علاهُ لخوف الجود منك صفارُ

قلت هذا والتفتُّ الى ثعلبة فرأيتهُ قد تغيّر لونهُ والدمعة تجول في عينيهِ من شدة غيظهِ ثم ودَّعني وقال لن اعود الى جدالك مرّة أُخرى وتبعهُ عقل يسليهِ ويسألني ان يعود اليَّ بعد اسبوع لمسائل لغويّة

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (لاحق بسابق ٥: ٦٦)

فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق

لم ينل فنّ الطباعة في الجزيرة والعراق ما نالهُ في الشام من النماء واتّساع النطاق وذلك لصعوبة نقل الادوات الطبعيَّة الى تلك البلاد القاصية . واكثر ما زها هذا الفنّ في مدينة الموصل وبها نفتتح تاريخ الطباعة في تلك الجهات

المطابع في الموصل

١ (مطبعة الآباء الدومينيكيين) اوّل مَن اغنى قاعدة ديار الجزيرة بصناعة الطبع حضرات الاباء المرسلين من رهبانيَّة القديس عبد الاحد وكان حلولهم في الموصل سنة ١٨٥٦ وذلك بايعاز مجمع انتشار الايمان الذي عهد الى الآباء الفرنسويين منهم بتدبير هذه الرسالة وكانت سابقًا في عهدة الدومينيكين الايطاليين . فما استقرّ قرار هؤلاء المرسلين الافاضل في حاضرة الجزيرة حتى فكّروا في انشاء مطبعة تساعدهم في القيام باعباء مأموريَّتهم الروحيَّة . ومن ثمَّ باشروا منذ السنة ١٨٥٩ في تعداد لوازم الطباعة وحاولوا اوَّلًا نشر بعض كرّيسات بالطبع الحجريّ لم تحقّق آمالهم

وكان اذ ذاك السيّد الفضال هنري امانتون قاصدًا رسوليًا على ما بين النهرين . فاعجبهُ فكر المرسلين وكان رأى في بيروت رأيَ العيان ما نالهُ اليسوعيّون من المنافع الروحيَّة الجمّة بمطبعتهم الحديثة لنشر التعاليم الدينيَّة وردّ التهم البروتستانيَّة . فاخذ يسعى في تحقيق امانيهم ولم يألُ جهده حتى فاز بالمرغوب . ففي سنة ١٨٦٠ اذ كان في باريس طلب الى جمعيَّة مدارس الشرق ان تخصص لهذا المشروع الخطير مبلغًا كافيًا . فلبّت الى دعوته واعطتهُ ٦٠٠٠ فرنك صرفها في استجلاب مطبعة مع ما يلحق بها من الادوات واقتنى ايضًا حروفًا عربيَّة وسريانيَّة وفرنسيَّة من حروف دار الطباعة العموميَّة في باريس وحروفًا كلدانيَّة من مطبعة الانكليكان في اورمية من اعمال العجم

فنُقلت هذه الادوات بعد الجهد الجهيد الى الموصل وجُهّزت لها ردهةٌ خصوصيَّة جعلت فيها . وكان اوّل مدير لهذه المطبعة احد المرسلين الافاضل الذي خدم تلك

الرسالة نحوًا من اربعين سنة بهمّة لا تعرف الملل وهو الحبر النبيل الذي يتولى اليوم بغيرة مشكورة مهامّ القصادة الرسوليَّة في سوريَّة السيِّد الجليل كلس دوڤال فانهُ تحفَّز اذ ذاك للعمل وجعل ثقتهُ في الله وباشر الامر باقدام

وقد وجد المدير المذكور مُساعدًا جديرًا بتنظيم المطبعة وإرشاد فعلتها في اخ فاضل من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة يدعى يوسف كان اصلهُ من دياربكر ترهَّب عند الآباء الفرنسيسيين واحكم في مطبعة القدس الشريف صناعة الطبع . فارسل هذا الراهبَ روساؤهُ الى الموصل وبقي سنةً كاملة فيها يهندم مطبعتها ويعلّم الشغل عمَّالها من صَفّ حروف وسَبكها وطبعها بدقَّة وجلاء .

وكان اوَّل كتاب برز من تلك المطبعة كتاب رياضة درب الصليب سنة ١٨٦١ وفيها طُبع ايضًا عن نسخة رومة العظمى كتاب تحفة الزهور الذكيَّة . ثمَّ مختصر في الجغرافيَّة عرَّبهُ القس يوسف داود السريانيّ الموصلي . وقد لقي حضرات الآباء الدومينيكيين في هذا الكاهن الفضال احسن عضد لتأليف الكتب وتعريبها واصلاحها مدَّة نيّف وعشرين سنة حتى رُقي الى كرسيّ اساقفة دمشق . ولغبطة السيّدين الجليلين البطريركين اغناطيوس افرام رحماني وجرجس عبد يشوع خياط الايادي البيض في نجاح هذه المطبَعة الموصليَّة وترقيتها كما سترى في قائمة كتبها الوارد ذكرها

وفي سنة ١٨٦٢ عاد الاخ يوسف الراهب الفرنسيسي الى ديرهِ في القدس الشريف مزوَّدًا بشكر المرسلين وخلفهُ في نظارة المطبعة الاخ الدومينيكيّ ريمند ميزون (R. Mizon) كان ذهب في اثناء اقامة الاخ يوسف في الموصل الى مطبعة اورشليم واخذ عن اصحابها الافاضل فنون الطباعة حتى صار كفؤًا لاتقان اشغالها كافةً . فلمَّا عاد الى الموصل استلم ادارة المطبوعات فبلَّغها بعد سنين قليلة غايةً في الحسن والضبط استحقَّت ثناء ارباب الطباعة الشرقيَّة والغربيَّة معًا . وممَّن آزرهُ في عملهِ بعض صَنَعة الموصل نخصُّ منهم بالذكر رجلًا بارعًا يُدعى سليمان بذل نفسهُ في صوالح المطبعة وادَّى لها خدمات عديدة تُذكر الى اليوم فتشكر . ومن اعمالهِ انهُ اصطنع طرزًا جديدًا من الحروف واتَّخذ لها أُمَّهات وسبكها سبكًا حسنًا بحيث تقرُّ العين لمنظرها

ولم تزل المطبعة الدومينيكيَّة مذ ذاك الحين تترقَّى مراقي النجاح وتستجلب من الادوات ما يزيد مطبوعاتها حسنًا . وكذلك جهَّزها اصحابها الكرام بمعامل لتجليد

الكتب وتذهيبا يعدّها كل من يراها من افخر معامل الديار الاوربيَّة · وكان الفضل في ذلك الى الاخ دومينيك لوبار (D. Loubière) الذي كان اتقن هذا الفنّ في مطابع البروبغندا الشهيرة

ولمَّا صارت ازمَّة الرسالة الدومنيكيَّة في بلاد الجزيرة الى نيافة السيّد دوثال خلفهُ في المطبعة حضرة الاب دوميني (Dumini) ثمَّ حضرة الاب بُنت (Bonte) الذي كان متوليًا شؤونها في تشرين الآخر من سنة ١٨٩٥ لمَّا اسعدنا الحظ فزرناها ورأينا بالعيان فوق ما سمعناهُ عنها بالآذان · والاب بُنت هو اليوم رئيس دير رهبانيَّتهِ في سعرت منذ السنة المنصرمة ولا نعلم من يدير المطبعة بدلًا منهُ · ودونك الان قائمة منشورات هذه المطبعة على حسب موادّها :

١ (الكتاب المقدَّس واللاهوت والتعليم الديني) ١ً الكتاب المقدس يحتوي الاسفار الالهيَّة كلّها في اربعة اجزاء تعريب الطيب الذكر القس يوسف داود (السيّد اقليميس داود مطران دمشق) بالقطع الربع (١٨٧١–١٨٧٧ · ص ٢٥٠٧) = ٢ً طبعة اخرى في ٦ مجلَّدات (١٨٧٤–١٨٧٧ · ص ٢٨٠٦) = ٣ً العهد الجديد طبعة متقنة مع تصاوير (ص ٧٤٤) = ٤ً مزامير داود (١٨٩٢ · ص ٣١٢) = ٥ً الاناجيل المقدَّسة الاربعة بقطع صغير (١٨٩٣ · ص ٥١٨) = ٦ً قصص الرسل (١٨٩٣ · ص ١٦٦) = ٧ً رسائل مار بولس (١٨٩٦ · ص ٥٦٧) = ٨ً الدرَّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة للسيد قورلّس بهنام بني (١٨٦٧ · ص ٣٢٢) = ٩ً رسالة المقدّمة والنتيجة في حقيقة عقد الخطبة وعقد الزيجة للقس يوسف داود (١٨٧٤ · ص ٧٦) = ١٠ً مختصر صغير في التعليم المسيحي (طُبع طبعات متعدّدة · ص ٤٨ بقطع صغير) = ١١ً مختصر التعليم المسيحي (ص ١٩١ بقطع صغير طبع ست طبعات) = ١٢ً خلاصة التعليم المسيحي · هو التعليم المنسوب الى السيد امانتون عرَّبهُ القس يوسف داود (١٨٦٣ · ص ٣٢ + ٢٥٤)

٢ الخطب والكلندارات والقوانين) ١ً كتاب التراجيم السنيَّة للاعياد المارانيَّة لايليَّا الثالث البطرك النسطوري المعروف بابي الحليم · عُني بطبعهِ وشرحهِ القس يعقوب (المطران ميخائيل نعمو) بقطع الثمن (١٨٧٣ · ص ٣١٢) . ولهذا الكتاب جزء ثان هو الآن تحت الطبع = ٢ً كتاب الخطب الباهرة والمواعظ الزاجرة للاب بولس سنيري اليسوعي · تعريب قديم نقحهُ القس يوسف داود (١٨٧٠ · ص ٩٠٧ وطبع ثانية ١٨٨١ · ص ٩١٢) = ٣ً كتاب المواعظ السديدة الاديبيَّة في تثقيف المسيحي في طريقتهِ الدينيَّة لهُ (١٨٩٣ · ص ٩٢١) = ٤ً نبذة من القوانين منقولة من المجامع المقدسة لفائدة الاكليروس السرياني الموصلي (١٨٧٢ · ص ٤٩) = ٥ً كلندار السنة لابرشيَّة الموصل السريانيَّة جُمع بامر السيد بهنام بني (١٨٧٧ · ص ٢٥٤) = ٦ً كلندار حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكية (١٨٨٢ · ص ١٤٤)

٣ (تراجم القديسين) ١ً سيرة القديسين تأليف القس يوسف داود (١٨٧٣ و ١٨٩٠

جزءان . ص ١٦٥٠) = ٢ سيرة اشهر شهداء المشرق (١٩٠٠ . ص ٤٥٢) = ٣ كتاب سيرة مار فرنسيس الاسيسي عرّبهُ من الايطاليَّة احد الآباء الكبوشيين (١٨٦٤ . ص ٤٠٠) = ٤ سيرة مار عبد الإحد منشيء رهبانيَّة الواعظين للاب لافي الدومينيكي (١٨٦٦ . ص ٢٨٢) = ٥ الزهرات القدسيَّة المقطوفة من جنَّة مار عبد الاحد (١٨٦٧ . ص ٤٥٢) = ٦ سيرة القديسة تريزة (١٨٦٧ . ص ٦٢٠) = ٧ سيرة مار افرام جمعها احد قسوس السريان الكاثوليك (١٨٨٣ . ص١١٨) = ٨ اسطاخيوس القائد الروماني (١٩٠٠ . ص ٢٣٤)

٤ كتب روحية وتأملات) ١ تحفة الزهور الذكية للنفوس العابدة المسيحيَّة عن طبعة رومية (١٨٦١ . ص ٥٢٢) = ٢ زوّادة النفس التقيَّة في طريق الحياة المسيحيَّة (طبعة رابعة ١٨٨٧ . ص ٢٦٣) = ٣ كتاب الحرب الروحية عرَّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي (١٨٦٨ . ص ٤٠٨) = ٤ كتاب يشتمل على تأمُّلات يوميَّة للقديس الفونس ليكوري ترجمة جديدة للقس يوسف داود (١٨٦٠ . ص ٢٤٠) = ٥ كتاب الواسطة العظيمة للخلاص لهُ (عن الطبعة الرومانيَّة (١٨٧٠ . ص ٣٥٣) = ٥ المنتخبات الكميسيَّة في السيرة القدسيَّة . تعريب القس عبد الاحد جرجي (١٨٩٨—١٩٠٠ ثلاثة اجزاء . ص ١١٦٠) = ٦ مجموع ساعيات لافضل اعياد السنة لاحد الآباء الكبوجيين (١٨٦٩ . ص ٢٨٠) = ٧ الكنارة الصهيونيَّة لتسبيح العزَّة الالهيَّة . جمعهُ ونقَّحهُ القس يوسف داود (١٨٦٤ . ص ٤٢٥ ثم ١٨٩١ . ص ٣٧٣) = ٨ شرح مختصر في الرهبنة الثالثة الدومينيكيَّة (ص ١٦) = ٩ ملخَّص اخبار الرهبنة الثالثة (١٩٠٠ . ص ٢٦٠)

٥ (كتب تعبُّدات) ١ كتاب رياضة درب الصليب (١٨٦١ . ص ٤٨) = ٢ مختصر رياضة درب الصليب (ص ٣٢) = ٣ تروُّض في آلام ربنا يسوع المسيح لكل جمعة من الصوم الكبير (١٨٦٣ . ص ١٩) = ٤ كتاب زيارة القربان الاقدس وزيارة مريم العذراء للقديس ليغوري . تعريب جديد للقس يوسف داود (١٨٦٩ و ١٨٧٦ . ص ٢٢٠) = ٥ شهر قلب يسوع الاقدس . (طبعة ثانية ١٨٨٣ . ص ٤٦٣) = ٦ كتاب فرض سيدتنا مريم العذراء الصغير بحسب الطقس الدومنكي (١٨٦٤ . ص ١٦٨ ثم ١٨٨٩ . ص ٢٠٧) = ٧ فرض السيّدة الصغير بحسب الطقس الروماني (ص ١٦٥) = ٨ كتاب التعبُّد لمريم للاب بولس سنيري اليسوعي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج ونقَّحهُ الخوري يوسف داود (١٨٧٠ . ص ٣٠١ ثم ١٨٩٦) = ٩ كتاب الشهر المريمي (١٨٩٢ . ص ٢٥١) = ١٠ كتاب النزهة في الورود يمثّل ظهور السيدة في لورد عرَّبهُ عن الفرنسيَّة القس جرجس السرياني (١٨٩٣ . ص ٢٦٠) = ١١ مصحف الورديَّة المقدسة (١٨٦٧ . ص ٣٥٢) = ١٢ شرح مختصر في اخويَّة الورديَّة (طبعة ثانية (١٨٨٣ . ص ٤٨) = ١٣ عبادة الورديَّة المؤبَّدة (١٨٨٠ . ص ٨٤) = ١٤ طريقة سهلة للتأمُّل في اسرار الورديَّة المقدسة (طبعتهُ الثانية ١٨٨٠ . ص ٦٤) = ١٥ دستور الورديَّة المقدَّسة (١٩٠٠ . ص٦٨) = ١٦ ثوب سيدتنا ذات الكرمل (١٨٨١ . ص ٣٠ ثم كُرر طبعهُ) = ١٧ ثلاثة ينابيع نعم للانفس المسيحية (١٨٨٠ . ص ٩٦)

٦ (كتب مدرسيَّة من قراءة ولغة) ١ جداول كبيرة للقراءة العربيَّة = ٢ مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان (١٨٦٢ . ص ٢٢ طبعتهُ العاشرة ١٨٩١) = ٣ كتاب التهجئة ومبادئ

القراءة = ٤ً امثال لقمان الحكيم الادبيَّة وطُرف من لطائف العرب الانسيَّة جمعها وضبطها بالشكل القس يوسف داود السرياني (١٨٧١. ص ١٦٠). ثم زيد في هذا الكتاب وقُسم قسمين وهما: ٥ً كتاب تعليم القراءة (طبعتهُ السادسة ١٨٩٢. ص٧٢) = ٦ً وكتاب جني الاثمار من لطائف الاخبار (١٨٧٦. ص ١٧٨. طبعتهُ الرابعة ١٨٩٠) = ٧ً كراريس التصانيف العربيَّة ويُعرف ايضاً بكرَّاسة الاشتقاق لهُ (١٨٨٣. ص ٩٤) = ٨ً كتاب التمرنة في الاصول النحويَّة لهُ ايضاً (١٨٦٩. ص٢٠٩ + ١٦ ثم طُبع ثانيةً سنة ١٨٧٥ في جزءين مجموع صفحاتهما ٤١٠) = ٩ً كتاب التمرين على كتاب التمرنة لهُ (١٨٧٧. ص ٢٤٤. ثم كُرر طبعهُ باسم تدريب الطلّاب في اصول التصريف والاعراب (ص ٢٦٠) = ١٠ً تعليم الطلّاب اصول التصريف والاعراب للمعلم سليم سمعان (١٨٩٩. ص ١٥٨)

٧ (الكتب الادبية) ١ً تقريب الالباب في حدائق الآداب لجامعهِ القس يوسف داود (١٨٦٣. ص ١٧٤) = ٢ً بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات للشيخ مرعي (١٨٦٦. ص ١٤٦) = ٣ً كتاب كليلة ودمنة عني بطبعهِ وتنقيحهِ القس يوسف داود السرياني (١٨٦٩. ص٢٨٦ ثم كرر طبعهُ ١٨٧٦ و١٨٨٣. ص ٢٢٠) = ٤ً فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه وقف على طبعهِ القس يوسف داود (١٨٦٩. ص٥٢٠) = ٥ً كتاب الرموز ومفتاح الكنوز. عني بطبعهِ القس يوسف داود (١٨٧٠. ص ١٢٣) = ٦ً رواية لطيف وخوشابا عرَّبها نعوم فتح الله سحَّار (١٨٩١. ص ٨٣) = ٧ً احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب لنعوم فتح الله سحَّار (١٨٩٨. ص ٢٤٠)

٨ (الكتب التاريخيَّة والجغرافية والرياضية) ١ً مختصر في التواريخ المقدَّسة (١٨٦٣. طبعتهُ الرابعة ١٨٨٣ طُبع خمس طبعات. ص ٧٦) = ٢ً مختصر في التواريخ المقدَّسة على سبيل السؤال والجواب الَّفهُ السيد المطران افرام رابولا رحماني السريانيّ (طبعتهُ الثالثة ١٨٨٣ ص ٢٢٩ طبعتهُ الرابعة ١٨٩١. ص ٢٣٧) = ٣ الفصول الانسيَّة في التواريخ القديمة للمعلم بايلر عرَّبهُ السيد المطران جرجس عبد يشوع خيَّاط الكلداني (١٨٦٨. ص٤٦٤ ثم ١٨٧٦. ص ٢٣١) = ٤ً مختصر تاريخ الكنيسة للمعلم لومون. عُني بتعريبهِ وتتمتهِ القس يوسف داود (١٨٧٣. ص ٧٥٦) = ٥ً مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة للقس يوسف داود السرياني (١٨٧٧. ص ٢١٠) = ٦ً مختصر في التواريخ القديمة الَّفهُ القس لويس رحماني (١٨٧٦. ص ٢٨٣) = ٧ً مختصر في تواريخ القرون المتوسطة لهُ (١٨٧٧. ص ٢٠٨) = ٨ً مدخل الطلّاب وتسلّة الرغّاب في اصول علم الحساب للقس يوسف داود السرياني (١٨٦٥ ثم ١٨٧٠. ص ١٨٠. طبعتهُ الرابعة ١٩٠٠) = ٩ً ترويض الطلّاب في اصول علم الحساب لهُ (١٨٦٥. ص ٢٠٨) = ١٠ً مختصر صغير في الجغرافية تعريب القس يوسف داود (١٨٦١. ص ٨٣ ثم ١٨٧١. ص ١٨٠) = ١١ً كتاب الخلاصة الوفيَّة في علم الجغرافية تأليف القس يوسف بونان الموصلي الكلداني (١٨٩١. ص ١٥٨)

٨ (تعليم اللغات الفرنسيَّة والتركيَّة والسريانية والكلدانية) ١ً المسائل الفرنساويَّة للورَّاد العربية رتبها واستخرجها الى العربية الخوري يوسف داود السرياني (١٨٦٥. ص ٢٥١) = ٢ً

غراماطيق نحو اللغة الفرنساوية له (١٨٦٥. ص ٢٦٨) = ٣ً الطريقة الجديدة لتعلم الفرنسيّة وهو ستّة اجزاء (١٨٩١ ثم ١٨٩٥) = ٤ً مبادئ القراءة في التركية (١٨٩٠. ص ٦٦) = ٥ً التحفة السنيّة لطلّاب اللغة العثمانية تأليف نعوم فتح الله سحّار (٢٥٥. طبعتهُ الثانية ١٨٩٤–١٨٩٥. ص ٦١١) = ٦ً مكالمات تركيّة عربية لهُ (١٨٩٦. ص ٢٠٠) = ٧ً مبادئ القراءة السريانية للقس يوسف داود (١٨٧٤ و١٨٧٩. ص ١٠٧ ثم ١٨٩١. ص ١١٥) = ٨ً كتاب اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانيّة للسيد اقليميس داود مطران دمشق (١٨٧٩. ص ٤٦٤. ثم طبع في جزءين (١٨٩٨–١٨٩٩. ص ٦٢٨ ولهذا الكتاب ترجمة باللاتينية بقلم المؤلف ص ٧٣٠) = ٩ً كتاب التهجئة بالكلدانية (طبعتهُ الثالثة ص ٤٨) = ١٠ً كتاب تصريف الاسماء والافعال الكلدانية (ص ٨٦) = ١١ً كتاب نحو اللغة الكلدانية للقس ارميا مقدسي (١٨٨٩. ص ٢٢٩) = ١٢ً نحو اللغة الاراميّة لهُ (١٨٩٨. ص ٢٥٠) = ١٣ً دليل الراغبين في لغة الاراميين للقس اوجين منّا (١٩٠٠. ص ٨٧٢) = ١٤ً معجم مطوّل للكلدانية القديمة والحديثة للسيد الجليل المطران توما اودو (١٨٩٨–١٩٠٠ في جزءين ضخمين. ص ١١٢٠) = ١٥ً منتخبات ادبية في اللغة الكلدانيّة للقس اديّ صليبا ابرهينا (١٨٩٩. ص ٢٢٠) = ١٦ً منتخبات اخرى للقس اوجين منّا (١٩٠١) = ١٧ً كليلة ودمنة بالكلدانية الحديثة للمطران توما اودو (١٨٩٨. ص ٢٧٢) = ١٨ً مجموعة امثال لداود قرة (١٩٠٠. ص ١٤٠)

١٠ (الكتب السريانية الدينيّة والطقسيّة) ١ً العهد الجديد بالسريانيّة في جزءين قطع صغير (١٨٩٨. ص ١٥٢٨) = ٢ً التعليم المسيحي بالسريانيّة (١٨٨٧. ص ٥٢) = ٣ً كتاب المزامير (١٨٨٥. ص ٢٥١) = ٤ً طبعة اخرى مع مقدّمات وشروح للسيد اقليميس داود مطران دمشق (١٨٨٥. ص ٢٦٤) = ٥ً فهرست المزامير التي تُتلى في الصلاة الفرضيّة في ابرشيّة الموصل السريانيّة في مدار السنة (١٨٧٧. ص ٤٢) = ٦ً كتاب الحسابات لمدار السنة الّا زمن الصوم الاربعيني جمعها اقليميس داود (٨٧٩. ص ٦٤٨) = ٧ً كتاب التنقيط جمعهُ ونظّمهُ ونقّحهُ السيّد المذكور (١٨٨٦. في سبع مجلّدات مجموع صفحاتها نحو ٤٠٠٠ صفحة) = ٨ً كتاب خدمة القداس بحسب ترتيب الكنيسة السريانيّة للخوري يوسف داود (١٨٦٨. ص ٢٢٨ ثم ١٨٨١. ص ٢٨٤) = ٩ً رسالة سريانيّة في كيفيّة التصرُّف في الدعاوي الزيجيّة لهُ (١٨٨٣. ص ٢٦)

١١ (الكتب الكلدانية الدينية والطقسية) ١ً الكتاب المقدس حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة ثلاثة اجزاء ضخمة (١٨٨٧–١٨٩١. ص ١٨١٩) = ٢ً المزامير بالكلدانية (١٨٩٠. ص ٢٠٧) = ٣ً تعليم مسيحيّ صغير بالكلدانية (طبعة ثانية ١٨٨٥. ص ٣٦) = ٤ً تعليم المجمع التريدنتيني نقلهُ الى الكلدانية السيد توما اودو الكلداني (١٨٨٩. ص ٦٩٠) = ٥ً كتاب صلوات صغير طبعة ثانية (١٨٨٨. ص ١٦) = ٦ً كتاب صلوات مطوّل بالكلدانية جمعهُ القس صليبا ابرهينا الكلداني (١٨٩١. ص ٢١٠) = ٧ً كتاب الوردية المقدّسة بالكلدانية العاميّة (١٨٨٤. ص ٩١) = ٨ً كتاب مرشد الكاهن للاب بولس سينيري اليسوعي نقلهُ الى الكلدانية القس داميان الكلداني ونقّحهُ المطران توما اودو (١٨٨٢. ص ٢٧١) = ٩ً كتاب ميزان

الزمان للاب نيارمبرج اليسوعيّ نقلهُ السيد المطران توما اودو (١٨٨٤. ص ٤٢٢) = ١٠ً مرشد المترشحين للدرجات الكهنوتية للكاهن الايطالي لويس توني نقلهُ المذكور (١٨٩٥. ص ٢٨٥)

١٢ (الكتب التركية الدينية) ١ً رياضة درب الصليب (١٨٩٢. ص ٢٨) = ٢ً انجيل مار متى بالتركية نقلهُ اليها السيّد عبد يشوع خيّاط مطران آمد على الكلدان (١٨٩٤. ص ١٠٥) = ٣ً خلاصة التعليم المسيحي بالتركية لهُ (١٨٩٣. ص ٢٢٥)

فترى من هذه القائمة ما اتى بهِ الآباء الدومينيكيُّون من الخدم الجليلة في سبيل الدين والآداب افاض الله عليهم سجال نعمهِ وايّدهم بروحهِ القدوس لمواصلة اعمالهم الشريفة لمجدهِ تعالى ولخير الوطن (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الحبّ والزواج

تأليف نقولا حدّاد

(طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٩٠١. ص ١١٢+٧)

ليس من عادة المشرق ان يخوض في المسائل المتعلقة بالحبّ والزواج وفي تعريف الكتب المؤلفة فيهما لانّ اغلب هذه المصنَّفات انَّما المراد بها إثارة الشهوات البهيمية اكثر منها الكلام في امر خطير تعدُّهُ الكنيسة كاحد اسرارها العظمى. والكتاب الذي نحن في صددهِ ليس هو من هذا القبيل فانَّ صاحبهُ تحرَّى البحث فلسفيًّا في شرائع الحبّ والزواج ومبادئهما الطبيعيَّة والادبيَّة وقد قسم كتابهُ الى قسمين مدار الاوَّل على الحبّ وحقيقتهِ وانواعهِ امَّا الثاني فيتضمَّن ما يختصّ بالعزوبة والزواج وما يندرج في نطاقهما. واكثر ابحاث هذا الكتاب تدلّ على عقلٍ صائب واعتدال في الحكم يستحقَّان الثناء. لكننا نأخذ على المؤلف بعض اقوال لا نراها صحيحة منها قولهُ (ص ٨) انَّ حبّ الرجل والمرأة «لم يكن يتجاوز التآلف البسيط في اوَّل الامر وانَّما تساكنا ليتعاونا على العمل لتحصيل الرزق» وزاد ايضاحًا حيث قال (ص ٤٩): «انَّ اوَّل حبّ كان بين الرجل والمرأة وكان في بادئ امرهِ متردّدًا لا يكاد ينعقد حتى ينحلّ ثمَّ ينعقد فينحلّ وهلمَّ جرًّا تبعًا لحركة الشهوة الحيوانيَّة» وهو قول باطل يردهُ العقل والنقل. امَّا العقل فلأنَّنا نعلم انَّ الزواج ليس هو فقط للمساكنة

والمعاضدة بل هو خصوصاً لخير النسل والقيام بتربيته وهذا يستدعي ارتباط الزوجين بحبل غير منفصم. امّا النقل فانّنا نجده في اوّل سفر التكوين اذ خلق الله حوّاء واعطاها زوجة لآدم واضاف الكتاب الى هذا الخبر ما حرفهُ: «ولذلك يترك الرجل اباه وامّهُ و يلزم امرأتهُ فيصيران جسداً واحداً». وكذلك نجد في الانجيل الطاهر قولهُ تعالى للفريسيين (متى ١٩: ٨): «انّ موسى لاجل قساوة قلبكم أذن لكم أن تطلّقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا» وهذان نصّان صريحان يردّان مزاعم صاحب الكتاب — ونأخذ ايضاً عليهِ انهُ جعل (ص ٧٨) على وجه الاطلاق «العزوبة مقاومةً للطبيعة» ولم يستثنِ عزوبةً محمودةً يختارها افاضل الناس كالكهنة والرهبان وغيرهم ممّن يضحّي كلَّ ملاذ الجسد في سبيل الله وخدمة القريب فانَّ هذه العزوبة ليست فقط غير منكرة بل مستحسنة قد حرّض عليها المسيح في الانجيل المقدَّس (متى ١٩: ١٢) ورسلهُ الابرار من بعدهِ (راجع الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ف ٧) وقد اعتادتها الكنيسة منذ بدء تاريخها. ومن ثمَّ نرى افراطاً ظاهراً في قول صاحب الكتاب عن قصر حياة الاعزاب حيث قال (ص ٨٠) «انَّ حياتهم مهما رتّبوا معيشتهم واجتنبوا الفحشاء اقصر من حياة المتزوج» وهو زعم يفنّدهُ مجرَّد النظر الى الوف من الرهبان الذين لا يموتون الّا بعد أن شبعوا من الحياة رغماً عن اشغالهم المتواترة جسماً وعقلاً

ل. ش

مطبوعات أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ برنامج الجمعية الخيرية المارونيَّة في سان باولو «برازيل» من ١٨٩٧ الى ١٩٠١ (ص٣٢)

٢ السنة السابعة لجمعيَّة دفن الموتى البائسين لطائفة الروم الملكيين في بيروت (مطبعة الثبات ص ١٦)

٣ الاخلاق مجموع عادات. خطاب القاهُ في المدرسة الشرقيَّة للروم الكاثوليك في زحلة المعلم الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف (١٩٠٢. ص ٤٩ بالمطبعة الادبيَّة)

٤ رواية جان وماري او النجاة بواسطة التوراة بقلم جرجي نقولا باز (المطبعة الاميركانية ١٩٠١. ص ٤٨)

٥ كتاب التحفة الادبيَّة في القراءة العربيَّة. طبعة ثانية لكتاب مرَّ وصفهُ في المشرق (٣: ٣٤). وقف على ضبطهِ المعلم البارع رشيد افندي الشرتوني (المطبعة الشرقية ١٩٠١. ص ٨٨)

٦ دوائر السريانيَّة في لبنان وسوريَّة بقلم حضرة الاب الفاضل يوسف حبيقه البكتاوي مطبعة الارز (١٩٠٢. ص ١٠٩). وهي المقالة التي مرَّ شيء منها في المشرق (٤: ١٢٠)

شذرات

خطبٌ جلل نُحيل قرَّاءنا الى ما كتبهُ البشير في عددهِ الاخير عن الفاجعة العظمى التي أُصيبت بها في ليلة الخميس الماضي طائفة الروم الملكيين بفقد كبير احبارهم وفخر ملَّتهم المثلَّث الرحمات غبطة البطريرك الجليل بطرس الرابع الجريجيري ولا يسع المشرق الَّا ان يردّد اصداء حزن رصيفهِ . وقد اهدى بهذه النسبة طلبة مدرستنا الكليَّة من الطائفة الملكيَّة اكليلًا بهيًّا حملوه امام نعش الفقيد وكان احدهم الاديب ميشال بيطار قد كتب عليهِ هذه الابيات:

نَشَرُ الطهارة عند موتك فاحا ... وأسير فضلك يوم بُعدك ناحا
يا نائيًا عنَّا سبيتَ قلوبنا ... قالي سوى ذكراك لن ترتاحا
لا غرو إن شئت الزهور امامنا ... انَّ الزهور ترافق الارواحا

آثار جزيرة كريت ان متولي حفر الآثار القديمة في جزيرة كريت المسيو إيفنس لا يزال مواصلًا لابحاثهِ في قصر كنوس (Cnosse) حيث وجد آثارًا جليلة من شأنها ان تكشف عن احوال اليونان في الطور الاوَّل من تاريخهم . وممَّا عثر عليهِ كتابات عديدة بخطٍ يدعوهُ « الارامي الفينيقيّ » ويرتإي ان الكتابة المعروفة بالفينيقيَّة ليست هي للفينيقيين كما ظنَّ الاقدمون وانَّما اصلها من جزيرة كريت التي يدعوها الكتاب المقدَّس كفتور (כפתור) وانَّ اهلها وهم الفلسطينيون لمَّا هاجروا من بلادهم في القرن الثاني عشر واحتلُّوا سواحل بلاد الشام وفلسطين نقلوا هذا الخطَّ وعلَّموهُ الفينيقيين الذين كانوا قبل ذلك العهد يكتبون بالخطّ الاشوريّ المعروف بالمساريّ كما يظهر من مكاتبات تلّ العمارنة وهذا الاكتشاف يؤيد قول المؤرخ ديودورس الصقليّ الذي اثبت انَّ اصل الكتابة الفينيقيَّة من جزيرة كريت

آثار شوشن نشر آخرًا حضرة العلاَّمة الشهير الاب شيل الدومينيكي مجموعًا ضخمًا ضمَّنهُ الكتابات القديمة التي وُجدت في شوشن عاصمة العيلاميين . وهذه الكتابات ترتقي الى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح وهي تنبئ بتمدُّن عجيب بلغهُ اهلها في ذلك العهد القاصي وكان هؤلاء من عنصر الساميّين كما بيَّن ذلك حضرة الاب شيل مستندًا الى الآثار العديدة التي نشرها من رسمها

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد ١ً عن بيتين وردا للشيخ ناصيف اليازجي من قصيدة :

رأيتُكَ تطلب الابحار جهلًا وانت تكاد تنرق في السواقي
اذا احرزتَ مال الارضِ طُرًّا فما لك فوق عيشك من تراقِ

٢ً وعن جملة وردت في صدر الجزء الرابع عشر من الضياء (ص ٤١٧) حيث جاء قول صاحبها « تُنوسي لبعد العهد بالفصيح وزوال صناعة القلم من بيننا ادهارًا » قال المستفيد: هل وردت لفظة « تراقٍ » في معجم من المعجمات المتداولة . وهل ذكرت هذه المعجمات « ابحار » و « ادهار » كجمع لبَحْر ودَهْر

ترقٍ — ابحار — ادهار

ج لم نجد في ما لدينا من المعجمات وزن تفاعل من « رَقِيَ » . اما « ابحار » « وادهار » فهما على قول حضرة الكاتب البارع الاب يوحنا مرتا جمعان قياسيًان لوزن فَعْل (المشرق ٢ : ٩٧٧) . اما الشيخ ابرهيم فغلَّط هذا القول وزعم انَّ فَعْل الصحيح العين لا يُجمع على أفعال الّا في اربعة الفاظ شذَّت . وعليهِ فنتعجَّب كيف استجاز استعمال « ادهار » كجمع لدَهر بعد تخطئتهِ لغيرهِ من الكتبة

س وسأل ل . ه من أدباء البلدة هل يجوز حذف « أن » بعد فعل القسم فيُقال مثلًا « حلف لا يدخل » بدلًا من « حلف ان لا يدخل »

فعل القسم وحذف ان بعده

ج لم ينصّ على ذلك النحويون في كتبهم لكننا وجدنا في كتب العرب ما يصوّبهُ فانَّهم كثيرًا ما يحذفون « ان » بعد فعل القسم رغبةً في تخفيف الجملة ورشاقة التعبير . وهاهيك ما جاء من ذلك في كتاب الاغاني لابن الفرج الاصبهاني قال في ترجمة زيد الخيل (ك ١٦ : ٥٠) : « وآلى اليَّةً لا يرجع حتى يكسبهنّ خيرًا » وقال في ترجمة اسحاق الموصلي (٥ : ١٥) : « جاءني (اسحاق) يبكي ويحلف إن جرى عليهِ هذا تاب من الغناء » . وقال ايضًا (١ : ٦٣) : « اقسم لا يخرج من الحبس » . وقال (٨ : ١٠٣) : « امر عثمان كثيرًا ان يستحلفهُ (الشمَّاخ) ما هجاهم » . وقال (٨ : ٢١) : « فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتَّى يرويها (اي الابيات) » . وفيه (٨ : ١١٦) : « ثمَّ آلى ابوهُ لئن اقامت لا يساكن قيسًا » . وهلمَّ جرًّا

ل . ش